الأسس التربوية وأثرها على الفرد والمجتمع من الآية (٦٣ – ٦٧) من سورة الفرقان / انموذجاً

The educational foundations in Surat Al-Furqan and its impact on the individual and society, an objective study From verse (63 - 67) collection and study

بحث تقدم به الدكتور

(رياض حسين احمد)

Research submitted by

Dr. (Riad Hussein Ahmed)

ملخص البحث

تم بحمد الله وتوفيقة إتمام هذا البحث، والذي بعنوان: الأسس التربوية وأثرها على الفرد والمجتمع من الآية (٦٣ – ٦٧) من سورة الفرقان/ انموذجاً.

في بداية البحث تحدثت عن أهمية الموضوع وبيان منزلة السورة مع استنباط موضوعاتها الرئيسية عن طريق التفسير، مع بيان أهدافها ومقاصدها، وأثرها على الفرد والمجتمع، لذا قسمت هذا البحث الى عدة عناوين لأسهل على القارئ فهمه والاستفادة منه، وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد، وأربعة مباحث، وفي كل مبحث عدة مطالب، وآخراً الخاتمة والمصادر والمراجع، أمّا المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، واهداف البحث، ومنهجية البحث، والدراسات السابقة.

أما التمهيد: فقد اشتمل على المبحث الأول: وهو التعريف بسورة الفرقان عن طريق مقاصد السورة، ومحورها الذي تدور حوله، مع ذكر سبب النزول، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها.

أما المبحث الثاني: فقد جاء فيه معنى التواضع والكبر والحلم وأثرهما على الفرد والمجتمع.

اما المبحث الثالث: فقد اختص بدراسة من هم العباد الذين يقيمون ليلهم بالتهجد وأثر ذلك على الفرد والمجتمع.

وقد جاء المبحث الرابع: ليبين معنى الخشية من عذاب الله، وطلب النجاة من النار، وأثر ذلك على العباد.

وقد بينت في المبحث الخامس: معنى الانفاق وعدم الاسراف وأثرهما على الفرد والمجتمع، ثم بعد ذلك ذكرت النتائج والتوصيات، ثم المصادر والمراجع.

Research Summary

This research was completed, which is entitled: Educational foundations and their impact on the individual and society from verse (63-67) of Surat Al-Furqan / as a model.

At the beginning of the research talked about the importance of the subject and highlight it as a study of the verses of the Holy Quran has walked in this study to study the verses with the deduction of the main topics through interpretation, with a statement of its goals and purposes, and its impact on the individual and society, so I divided this research into several titles to make it easier for the reader to understand and benefit from it, this research has included an introduction and introduction, and four sections, and in each section several demands, and the last conclusion, sources and references.

the introduction has included the importance of the topic and the reasons for its choice, Research objectives, research methodology, and previous studies.

As for the introduction: it included the first topic: which is the definition of Surat Al-Furqan through the purposes of the surah, and its axis around which it revolves, with mentioning the reason for the descent, and its suitability for what was before and after.

The second topic: it came in the meaning of humility, pride and dream and their impact on the individual and society.

The third topic: it was specialized in studying who are the servants who reside to inspire Tahajjud and its impact on the individual and society.

The fourth section came: to show the meaning of fear of the punishment of God, and the request to escape from the fire, and the impact on the servants.

It has shown in the fifth section: the meaning of spending and non-extravagance and their impact on the individual and society, then mentioned the results and recommendations, then sources and references.

المقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبده الفرقان فجعله نوراً للعالمين وهدىً وبشرى وشفاء لما في الصدور، فهنيئاً لمن تمسك به وثبت على نوره، واصلي وأسلم على سيدنا محمد ﷺ وعلى أله وصحبه اجمعين.

أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم هو منهج الحياة العامة لهذه الأمة ودستورها، لم يترك شيئاً الا وأتى به لكي يوصل العباد الى النجاة من الظلمات الى النور، ويجعلهم اعزاء بين الأمم ان تمسكوا بنوره، وهو أساس العلوم والحكم، واساس التربية التي من شأنها ان تجعل الفرد يسير على الخلق الحسن، لذا نجد ان سورة الفرقان قد احتوت على هذه الأسس التربوية الخاصة بعباد الرحمن، فكانت موضوع دراستي هذه، واختصت بعنوان: الأسس التربوية وأثرها على الفرد والمجتمع من الآية (٦٣ – ٦٧) من سورة الفرقان أنموذجاً، وأشير الى اني قسمت باقي الآيات الى بحوث أخرى لكي لا اطيل في هذا البحث.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

(١) خدمة لكتاب الله تعالى، وذلك بإظهار مقاصده ومعانيه.
(٢) استنباط القواعد الأساسية التربوية المهمة.
(٣) ابراز ما تناولته سورة الفرقان من موضوعات متنوعة ومختلفة في التربية الإيمانية والتوصيات التشريعية.

ثانياً: أهمية الموضوع:

(١) يعد علم التفسير من أشرف العلوم وأعظمها؛ لأنه يتعلق بأشرف الكتب وأعظمها الا وهو القرآن.
(٢) تكمن أهمية الموضوع في التعرف على مقاصد واهداف الآيات ومالها من أثر على هذه الامة.
(٣) تقديم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الامة الإسلامية اليوم، وذلك ببيان الأهداف والمقاصد التي تحتويها هذه الآيات القرآنية.
(٤) إنّ بيان المقاصد والأهداف يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، مع الإقبال على القرآن الكريم؛ لأنه الحكم الأول.

ثالثاً: أهداف البحث:

(١) اظهار الموضوعات الأساسية لسورة الفرقان، وبما يظهر المقاصد العامة والاهداف الحقيقية التي يراد ارسائها في المجتمع الإسلامي.
(٢) تنشئة الفرد عل الضوابط العامة في حياته اليومية، ببيان ما احتوت عليه هذه الأسس.
(٣) تخليص المجتمع من المفاسد التي تشكل خطراً على افراده إذا سادت في ذلك المجتمع، وقد نبه عليها القرآن الكريم في هذه الأسس، ولغرض التخلق بالأخلاق الحميدة التي تزيد من ايمانهم وتقربهم إلى الله تعالى.

رابعاً: الدراسات السابقة:

(١) القيم الأخلاقية في القرآن الكريم في ضوء سورة الفرقان: من الآية (٦٣ – ٦٧) دراسة موضوعية، بحث مقدم لاستكمال درجة البكالوريوس في كلية الدراسات الإسلامية المصرية.
(٢) البناء التربوي وآثاره في سورة الفرقان، دراسة موضوعية تطبيقية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية أصول الدين/ الجامعة الإسلامية بغزة ٢٠٢١.
(٣) بحث (المبادئ التربوية المستنبطة من سورة الفرقان وتطبيقاتها في الاسرة) لعائشة عبد الله احمد، مجلة العلوم التربوية والنفسية / السعودية / ٢٠٢٠.

خامسا: منهجية الباحث:

(١) استخدم الباحث المنهج الاستنباطي في التفسير، بوضع مقدمة لسورة الفرقان ببيان اسم السورة، وفضلها، ومكان نزولها، ومحورها الرئيس، ثم بعد ذلك تقسيم آيات السورة الى مباحث جاعلاً لكل مبحث مقاصد واهداف.
(٢) عزو الآيات القرآنية إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية.
(٣) تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها الاصلية.
(٤) عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها بما يحقق الأمانة العلمية، مع توثيقها حسب الأصول.
(٥) اكتفي في التوثيق بذكر اسم المؤلف ثم الكتاب فقط/ ورقم الجزء والصفحة، مع ترك مواصفات المرجع الى قائمة المراجع، وذلك تخفيفاً عن الحاشية.
(٦) عمل الفهارس للوصول الى المعلومة بأقصر طريق وأسهله.

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وقائمة وفهارس، فجاءت الخطة على النحو الآتي:

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، واهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهجية الباحث.
- تمهيد: ويشمل على خمسة مباحث:
  - المبحث الأول: بين يدي سورة الفرقان.
    - المطلب الأول: اسم السورة، ووجه تسميتها، وترتيبها، وعدد كلماتها، وحروفها.
    - المطلب الثاني: زمن نزول السورة، ومكان نزولها، والمحور الذي تدور حوله.
    - المطلب الثالث: ما اشتملت عليه السورة، واهم مقاصدها، مع ذكر جوانب تتعلق بهذه السورة.
    - المطلب الرابع: مناسبتها لما قبلها، ومناسبتها لما بعدها.
  - المبحث الثاني: الأسس التربوية التي تعني بجانب الاخلاق.
    - المطلب الأول: التواضع وعدم الكبر.
    - المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد.
    - المطلب الثالث: أثر التواضع على الفرد والمجتمع.
    - المطلب الرابع: أثر الكبر على الفرد والمجتمع.
    - الحلم وآثاره على الفرد والمجتمع.
  - المبحث الثالث: الأسس التربوية التي تعني بجانب العبادة:
    - المطلب الأول: قيام الليل بالتهجد.
    - المطلب الثاني: أثر قيام الليل على الفرد والمجتمع.
  - المبحث الرابع: الأسس التربوية التي تعني بجانب العقيدة:
    - المطلب الأول: الخشية من عذاب الله، وطلب النجاة من النار.
    - المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد.
    - المطلب الثالث: أثر عذاب جهنم على الفرد والمجتمع.
  - المبحث الخامس: الأساس التربوي الاجتماعي:
    - المطلب الأول: الاعتدال في الانفاق وعدم الاسراف.
    - المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد.

- المطلب الثالث: أثر الاسراف على الفرد والمجتمع.
- المطلب الرابع: أثر الاقتار على الفرد والمجتمع.

– الخاتمة، ثم المصادر والمراجع.

تمهيد

المبحث الأول: بين يدي السورة

المطلب الأول: اسم السورة، ووجه التسمية، وترتيبها، وعدد آياتها، وعدد كلماتها، وحروفها.

اولاً: اسم السورة:

إنّ سورة الفرقان سميت بهذا الاسم؛ وذلك لأنها فرقت بين الحق والباطل، وبين النور والظلم، ولهذا سميت سورة الفرقان بهذا الاسم في عهد النبي ﷺ وبمسمع منه، وقد ذكر البخاري ذلك، بما جاء عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ» فَقَرَأَ عَلَيْهِ القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ» فَقَرَأْتُ القِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»"[1] فلا يعرف لهذه السورة اسم غير هذا، والمؤديون من اهل تونس يسمونها (تبارك الفرقان) كما يسمون (سورة الملك) وتبارك الملك[2].

ثانياً: وجه تسميتها:

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب إنزال القرآن على سبعة أحرف، ج٦/ ١٨٤، رقم الحديث (٤٩٩٢).

(٢) التحرير والتنوير لأبن عاشور: (١٨/ ٣١٣ – ٣١٤).

"أما وجه تسميتها بهذا الاسم وذلك لاحتوائها على لفظ الفرقان، إذ ذكر ذلك فيها ثلاث مرات، وذلك في أولها ووسطها وآخرها"(١).

ثالثاً: ترتيب السورة وعدد آياتها وكلماتها وحرفها:

"اما ترتيب السورة فقد ثبت انها السورة الثانية والأربعون في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة يس وقبل سورة فاطر، وعدد آياتها سبع وسبعون آية باتفاق اهل العدد"(٢)، "أما عدد كلماتها فهي ثمانمائة واثنتان وسبعون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وثلاثون، مجموع فواصل آياتها (لا) على اللام فهي آية واحدة"(٣) ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾(٤).

المطلب الثاني: زمن نزول السورة، ومكان نزولها:

اولاً: زمن نزول السورة:

"نزلت سورة الفرقان في مكة، وذلك لما روي عن ابن عباس انه استثنى منها ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٥)، والصحيح ان هذه الآيات مكية كما في صحيح البخاري:﴿ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ :أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةَ :أَنَّهُ "سَأَلَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ: هَلْ لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾(٦) .فَقَالَ سَعِيدٌ :قَرَأْتُهَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا قَرَأْتَهَا عَلَيَّ، فَقَالَ :هَذِهِ مَكِّيَّةٌ، نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ، الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ﴾(٧) وهي قوله: ﴿يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾، وعن الضحاك: "انها مدنية الا الآيات الثلاث من أولها الى قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٨/ ٣١٣ – ٣١٤.
(٢) ينظر: المصدر السابق: (١٨ – ٣١٣ – ٣١٤).
(٣) بصائر ذوي التميز لفيروز ايادي: ٣٤٠/١.
(٤) الفرقان: ١٧.
(٥) الفرقان: ٦٨ – ٧٠.
(٦) الفرقان: ٦٨.
(٧) اخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب [لا يقتلون النفس التي حرم الله]، ج٦، ١١٠، (٤٧٦٢).

لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾، لذلك فأسلوب هذه السورة واغراضها يدل على انها مكية"(١).

"لذلك فهي مكية لأنها نزلت بعد سورة يس، ونزلت سورة يس بعد سورة الجن، حيث كان نزول سورة الجن عند رجوع النبي ﴿ﷺ﴾ من الطائف، وكان قد ذهب اليها سنة عشرة من بعثته، عند ذلك يكون نزول سورة الفرقان في السنة العاشرة من البعثة، وتكون من السور التي نزلت بين الهجرة الى الحبشة والاسراء، وهي فترة تميزت بقسوة المشركين في مكة وذلك لرغبتهم في القضاء على الدعوة بكل سبيل، ولهذا فإن هذه السورة تبدو وكأنها ايناس لرسول الله ﴿ﷺ﴾، وتسلية له وتطمين له وهو يواجه المشركين، وعنادهم وجدالهم بالباطل، مع وقوفهم في وجه الهدى، وصدهم عنه"(٢).

وقد ذكر الواحدي: "ان سبب النزول هو انه عندما عَيَّرَ المشركون رسول الله ﴿ﷺ﴾ بفقره، وقالوا: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾(٣) فحزن رسول الله ﴿ﷺ﴾ فنزل جبريل ﴿عليه السلام﴾ من عند ربه معزياً، فقال: "السلام يقرئك السلام ويقول لك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٤)، كما ان الله تعالى قد عرض على رسول الله ﴿ﷺ﴾ خزائن السموات والأرض دون ان ينقص من ذلك شيئاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ (٥)، الا ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ أراد ان يجمع له الله ذلك في الآخرة"(٦).

ثانياً: المحور الذي تدور حوله:

وقد تحدث ابن عاشور عن ذلك فقال: "ان محور سورة الفرقان هو القرآن باعتباره معجزة الرسول ﴿ﷺ﴾ ودليل صدقه، وكونه مبعوثاً للناس كافة لينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم ولهذا جعل براعة استهلالها: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٧) وذكر بدائع من صنعه تعالى

(١) التحرير والتنوير: ١٨/ ٣١٤ – ٣١٥.
(٢) الموسوعة القرآنية لجعفر شرف الدين: ١٠٥/٦.
(٣) الفرقان: ٧.
(٤) الفرقان: ٢٠.
(٥)الفرقان: ١٠.
(٦) أسباب النزول للواحدي: (١/ ٣٣٢ – ٣٣٣).
(٧) الفرقان: ١.

جمعاً بين الاستدلال والتذكير، واعقب ذلك بتثبيت الرسول ﴿ﷺ﴾ على دعوته ومقاومته للكافرين، مع ضرب الامثال للحالين ببعثة الرسل السابقين وما لقوا من اقوامهم مثل قوم موسى، وقوم نوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الرس، وقوم لوط، ثم جاءت تدعو الى التوكل على الله، و تثني على المؤمنين به، مع مدح خصالهم ومزايا اخلاقهم، مع الإشارة الى عذاب قريب سيحل بالكافرين"[١].

وقد بين الأستاذ سعيد حوى: "أن هذه السورة تتألف من مقدمة، ومقطعين، وكلها تدور حول كونه ﴿ﷺ﴾ بشيراً ونذيراً، وأنه تعالى أنزل عليه الكتاب ليكون رحمة للعالمين، وكيف كان موقف الكافرين، وما هو الرد عليه، وما هي أمهات القضايا التي كان فيها التبشير والانذار، وما هو موقف الناس منها، لذلك فإن هذه السورة فيها من المعجزات الزائدة عن الاعجاز العام في القرآن ما به تظهر الحجة ظهوراً كاملاً؛ لأنه به يتم الفرق بين الحق والباطل، وامام المواقف الكافرة من هذا الفرقان ومن هذا البشير النذير تبين السورة كيف ينبغي ان تكون مواقف البشير النذير، وما هي المعاني التي يجابه بها هذه المواقف، لذلك فإن كل هذه المعاني تجدها في هذه السورة"[٢].

المطلب الثالث:

أولا: ما اشتملت عليه السورة:

إنّ سورة الفرقان قد اشتملت على أمور كثيرة تدل على انها تصب في صالح الفرد في الدنيا والآخرة بما فيها من الهدى والرشاد وقد بين ابن عاشور هذه الأمور وهي:

"وقد اشتملت هذه السورة على الابتداء بتمجيد الله تعالى وانشاء الثناء عليه، ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها، وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال منزله، وما فيه من الهدى، وتعريض بالامتنان على الناس بهديه وارشاده الى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي ﴿ﷺ﴾"، وقد أقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم وهي:

اولاً: اثبات ان القرآن منزل من عند الله تعالى، والتنويه بالرسول ﴿ﷺ﴾ المنزل عليه، ودلائل صدقه، ورفعة شأنه بالابتعاد عن الحظوظ الدنيوية، وانه سار على طريقة غيره من الرسل، لذلك تلقى قومه دعوته بالتكذيب [٣].

(١) التحرير والتنوير: (١٨/ ٣١٤ – ٣١٥).
(٢) الأساس لسعيد حوى: (٧/ ٣٨٣٥).
(٣) التحرير والتنوير: (١٨/ ٣١٤).

ثانياً: اثبات البعث والجزاء، والانذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير بالثواب فيها للصالحين، وانذار المشركين بسوء حظهم يومئذ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول ﷺ وعلى إشراكهم واتباع أئمة كفرهم.

ثالثاً: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه على أن يكون له ولد أو شريك، وابطال الهية الاصنام، وابطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى، لذلك افتتحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة[١] لفظة [تبارك الذي][٢].

ثانياً: اهم مقاصد السورة:

(١)ذكر موضع عظم القرآن، مع ذكر مطاعن الكفار في النبوة والرد على مقالاتهم بأن القرآن افتراه محمد ﷺ، وانه ليس من عند الله تعالى[٣].

(٢)تنزيه الحق تعالى عن الولد والشريك، مع ذم عبادة الاوثان، والشكاية من المشركين بطعنهم في المرسلين، بأكل الطعام في اخس الأماكن، واستدعائهم محالات المعجزات من الأنبياء كل أوان، وذل المشركين في العذاب والهوان، وعز المؤمنين في ثوابهم بفراديس الجنان[٤].

(٣)خطاب الحق مع الملائكة في القيامة تهديد لأهل الكفر والطغيان، وبشارة الملائكة للمجرمين بالعقوبة في النيران، وبطلان أعمال الكفار يوم ينصب الميزان، والاخبار بمقر المؤمنين في درجات الجنان.

(٤)انشقاق السموات بحكم الهول وسياسة العبدان، مع الأخبار عن ندامة الظالمين يوم الهيبة ونطق الأركان، مع ذكر الترتيب والترتيل في نزول القرآن[٥].

(٥)الاخبار بحال القرون الماضية، كما تطرقت إلى تشبيه الكفار بالأنعام، اخس الحيوان، وتفضيل الانعام عليهم، في كل شأن.

(٦)ذكر عجائب صنع الله للظل والشمس وتخليق الليل، والنهار، الآفات، والازمان، والمنة بإنزال الامطار، وانبات الأشجار في كل مكان، مع ذكر الحجة في المياه المختلفة في البحار.

(٧)التطرق الى ذكر النسب، والصهر، في نوع الإنسان، وعجائب الكواكب، والبروج، ودور الفلك، وسير الشمس، والقمر.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٨/ ٣١٤.
(٢) الفرقان: ١.
(٣) تفسير القرطبي: (١٣/ ١).
(٤) بصائر ذوي التمييز: ١/ ٣٤٠.
(٥) بصائر ذوي التميز: ١/ ٣٤٠.

(٨)تفصيل صفات العباد، وخواصهم بالتواضع، وحكم قيام الليل، والاستعاذة من النيران، وذكر الاقتار، والاقتصاد في النفقة، والاحتراز من الشرك، والزنى، وقتل النفس، والظلم والعدوان، ثم أكد تعالى على الاقبال على التوبة، والاعراض عن اللغو، والزور، مع الوعد بالغرف للصابرين على عبادة الرحمن.

(٩)بيان الحكمة في تخليق الخلق والتضرع والدعاء والابتهال الى الكريم المنان[١]، بقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[٢].

ثالثاً: الغرض من ترتيبها:

"حيث جاءت هذه السورة توصي الى بيان الغرض من نزول القرآن، وهو ان يكون للعالمين نذيراً، والكلام فيها عن هذا الغرض ينقسم الى قسمين: أولهما هو دفع ما اوردوه عليه من شبه وتأييده لما وقع قبله من النذر الأولى، وثانيهما في عدم تأثرهم بذلك لتكبرهم وجهلهم[٣].

رابعاً: ذكر جوانب تتعلق بهذه السورة:

وقد تنوعت جوانب هذه السورة وتعددت ولكنها في جملتها كانت، مؤازرة الرسول ﴿ﷺ﴾ في محنته مع المشركين، فجاءت تمنحه الثقة والاطمئنان، وجاءت لكي تفضح شبهات المشركين، وتدافع عن الدعوة الداعية بالكثير من السبل، فهي لمحة تصور الايناس اللطيف الذي احاط به الله تعالى عبده ورسوله ﴿ﷺ﴾، وكأنه يمسح عنه الالام والمتاعب مسحاً رقيقاً، كما أنّه يفيض عليه بالرعاية واللطف والمودة، وهي في لمحة تصور المعركة العنيفة مع البشرية الضالة الجاحدة، المشاقة لله ورسوله[٤]، وانها تجادل في عنف، وتتعنت في عناد، وتجنح عن الهدى الواضح المبين، انها البشرية الضالة التي تقول عن هذا القرآن العظيم، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[٥]، او تقول عن النبي ﴿ﷺ﴾: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[٦]، او تقول باستهزاء: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً﴾[٧] فهذا التكذيب كان على سمة الناس من عهد نوح الى عهد النبي ﴿ﷺ﴾، لذلك

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣٤٠ – ٣٤١.
(٢) الفرقان: ٧٧.
(٣) الموسوعة القرآنية لجعفر شرف الدين: ٦/ ١١١.
(٤) الموسوعة القرآنية: ٦/ ١٠٥ – ١٠٦ .
(٥) الفرقان: ٤.
(٦) الفرقان: ٨.
(٧) الفرقان: ٤١.

اعترض القوم على بشرية النبي ﴿ﷺ﴾، كما اعترضوا على حظه من المال، فقالوا: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾[١]، كما انهم اعترضوا على طريقة تنزيل القرآن، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[٢]، وفوق ذلك التكذيب والاستهزاء، والافتراء والايذاء، وقد يئس منهم النبي ﴿ﷺ﴾ عند ذلك توجه الى الطائف وفيها قبائل ثقيف، وفيها نعمة وغنى وزراعة واعناب، فلما ذهب اليهم ودعاهم الى الإسلام فردوا عليه أسوأ رد، واغروا به السفهاء والعبيد يرجمونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان واغمي عليه، لذلك جاءت سورة الفرقان حناناً له ورحمة من الله لنبيه، حيث تمسح عنه الالام، وتهون عليه مشقة ما يلقى من عنت القوم، وسوء ادبهم وتطاولهم على من اختاره سبحانه، ليحمل الرسالة السماوية الى الناس جميعاً وتعزيه عن استهزائهم بتصوير المستوى الهابط الذي يتمرغون فيه، لذلك تكفل القرآن بالمعونة والمساعدة في معركة الجدل والمحاجة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٣]، لذلك عرضت لنا السورة مشاهد من اهوال يوم القيامة ومشاهد المجرمين تهديداً ووعيداً لقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾[٤] وبعد ذلك تصور لنا كيف ندم هؤلاء الكفار لقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[٥]، كما قدمت لنا صورة عن مسيرة الأنبياء وجهادهم وبلاءهم، وتسلية للرسول الأمين، ثم تحثه على الصبر والمصابرة، وعلى جهاد الكافرين بالحجة والبرهان، [٦] ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[٧].

وهناك جوانب أخرى تتعلق بهذه السورة قد ذكرها الزحيلي: "ان هذه السورة ايناس وتسلية وعطف وايواء من الله لرسوله، وفي جانب آخر مشاقة وعنت من المشركين لرسول الله ﴿ﷺ﴾، وهي كذلك تقدم جوانب القدرة الإلهية، وتصف عجائب صنع الله في مد الظل، وتسخير الشمس، وخلق الليل والنهار، والظلام والنور، وانزال المطر وانبات النبات، وخلق الانسان والكواكب، والبروج والافلاك، وتتوعد المشركين بالعذاب والعقاب، فإذا اقتربت السورة من نهايتها: وصفت عباد الرحمن بالتواضع، وقيام الليل، والاقتصاد في النفقة، والاحتراز من الشرك والقتل والزنى، مع ذكر فضل التوبة، وتختم السورة بهوان البشرية على الله ولولا تلك القلوب المؤمنة التي تلجأ اليه وتدعوه[٨].

---

(١) الفرقان: ٨.
(٢) الفرقان:٣٢.
(٣) الفرقان: ٣٣.
(٤) الفرقان: ٢٦.
(٥) الفرقان: ٢٧.
(٦) ينظر: الموسوعة القرآنية: (٦/ ١٠٦ – ١٠٨).
(٧) الفرقان: ٥٢.
(٨) التفسير المنير: ١٩/ ٥ – ٦.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

اولاً: مناسبتها لما قبلها:

ان مناسبة سورة الفرقان لما قبلها فقد بدأت بتعظيم خالق السموات والأرض، وقد ابانت أمور أخرى وهذا ما نجده في هذا التوضيح الذي بينه الزحيلي: "أن سورة النور ختمت بأن الله تعالى مالك جميع ما في السموات والأرض، وبدئت سورة الفرقان بتعظيم الله الذي له ملك السموات والأرض من غير ولد ولا شريك في الملك، وامر تعالى في أواخر سورة النور اطاعة امر النبي ﴿ﷺ﴾، وابان في بداية الفرقان وصف دستور الطاعة وهو القرآن العظيم الذي يرشد الامة لأقوم طريق[١].

وما نراه في سورة النور انها تضمنت القول في الالهيات، وابانت ثلاثة أنواع من دلائل التوحيد: أحوال السماء والأرض، والاثار العلوية من انزال المطر وكيفية تكوين الثلج والبرد، واحوال الحيوانات، وذكر في الفرقان جملة من المخلوقات الدالة على توحيد الله تعالى، كمد الظل، والليل والنهار، والرياح والماء، والانعام، والاناسي، ومرج البحرين، وخلق الانسان، والنسب والصهر، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، والاستواء على العرش، وبروج السماء، والسراج والقمر، ونحو ذلك مما هو تفصيل لقوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[٢]، فقال في النور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[٣] وقال في الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[٤]، وقال في النور: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥] وجاء في الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٦]، لذلك جاء في كلتا السورتين وصف اعمال الكافرين والمنافقين يوم القيامة وانها تكون مهدرة باطلة، حيث جاء في النور: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٧] وذكر في الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٩/ ٥ – ٦.
(٢) الفرقان: ٢.
(٣) النور: ٤٣.
(٤) الفرقان: ٤٨.
(٥) النور: ٤٥.
(٦) الفرقان: ٥٤.
(٧) النور: ٣٩.

فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[١] وجاء في آخر سورة النور الكلام عن فصل القضاء بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢]، وجاءت الفرقان تثني على الله تعالى بأنه مالك الملك، وصاحب السلطان المطلق الذي لم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً"[٣].

قال أبو حيان: " ان مناسبة السورة لآخر ما قبلها انه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول ﴿ﷺ﴾ وانهم إذا كانوا معه على امر جامع مهم توقف انفصال واحد منهم على اذنه وحذر من يخالف امره، كما ذكر انه مالك السموات والأرض وانه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك، فكان ذلك غاية في التحذير والانذار، لذلك فهو ناسب ان يفتتح هذه السورة بانه تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير، ومن خيره انه نزل الفرقان على رسوله منذراً لهم فكان ذلك أطماع في خيره وتحذير من عقابه"[٤].

ثانياً: مناسبتها لما بعدها:

وأشار أبو حيان الى ذلك: "ان الله تعالى قال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[٥] لذلك ذكر تلهف النبي ﴿ﷺ﴾ على كونهم لم يؤمنوا، وكونهم كذبوا بالحق لما جاءهم، ولما ولما اوعدهم في آخر السورة بقوله: ﴿يَكُونُ لِزَامًا﴾، ثم اوعدهم في اول هذه فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٦]، وتلك إشارة الى آيات السورة، وآيات القرآن"[٧].

وقال البقاعي: "انه تعالى لما فرق في تلك بين الدين الحق والمذهب الباطل، وبين ذلك غاية البيان، وفصل عباد الرحمن عن عباد الشيطان، وأخبر انه عم برسالته ﴿ﷺ﴾ جميع الخلائق، وختم بشديد الإنذار اهل الاديار، بعد ان قال: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ وكان حين نزولها لم يسلم الا القليل، فكان ذلك يدل على قرب هلاكهم وانزال البطش بهم، كما كان في آخر سورة مريم، فأوجب الأسف على فوات ما كان يرجى من رحمتهم بالإيمان، والحفظ عن نوازل الحدثان، فدل ذلك على ان عدم اسلامهم لوجود نقص في البيان، لذلك أزال سبحانه ذلك فقال [تلك] الآيات العالية المرام، والكتاب الجامع لكل فرقان، الواضع في

---

(١) الفرقان: ٢٣.
(٢) النور: ٦٤.
(٣) التفسير المنير: ١٩/ ٥ – ٦.
(٤) البحر المحيط: ٧٩/٨.
(٥) الفرقان: ٧٧.
(٦) الانعام: ٥.
(٧) ينظر: البحر المحيط: ١٣٩/٨.

نفسه انه معجز، وانه من عند الله وان فيه كل معنى جليل، الفارق لكل مجتمع ملتبس بغاية البيان، فصار الاخبار بأنه فرقان مكتنفاً بالإنذار في أول السورة التي قبلها وآخرها[١].

وأضاف: "فإنه لما عرفت الفرقان بتشنيع مرتكب الكفرة المعاندين، وأنها ختمت بما ذكر من الوعيد، وكان ذلك مظنة لإشفاقه ﴿ﷺ﴾ وتأسفه على فوات ايمانهم، ولما جبل عليه من الرحمة والاشفاق، لذلك جاءت الشعراء مفتتحة بتسليته ﴿ﷺ﴾ وانه سبحانه لو شاء لأنزل عليهم آية تبهرهم وتذل جبابرتهم فقال سبحانه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٢] ثم أعقب سبحانه بالتنبيه والتذكير: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[٣] ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٤]، وقلما تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته ﴿ﷺ﴾ الا معقبة بقصة موسى ﴿عليه السلام﴾ وما كابد من بني إسرائيل وفرعون، ثم اتبع جل وعلا قصة موسى وغيره من الأنبياء مع اممهم وذلك تأنيساً له ﴿ﷺ﴾ حتى لا يهلك نفسه على فوت ايمان قومه"[٥].

المبحث الأول: الأسس التربوية التي تعتني بجانب الاخلاق

المطلب الأول: التواضع وعدم الكبر:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٦]

المعنى العام:

إن هذه الآية قد بينت صفة من صفات عباد الرحمن والتي تحمل في داخلها على امر مهم وهو كيف يتواضع الناس فيما بينهم حتى لا يترفع احد على احد لذلك بين الامام الطبري هذا الامر فقال: "وهم العباد الذين يمشون بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا يسعون بالأرض بالفساد، ولا معصية الله تعالى، حيث انهم اختاروا صفة التواضع والعفاف طاعة لله تعالى، كما انهم يمشون عليها بالحلم ولا يجهلون على من جهل عليهم، لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[٧]، واذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، اجابوهم

(١) نظم الدرر: ١٤/ ٣ – ٤.
(٢) الشعراء: ٣.
(٣) الشعراء: ٧.
(٤) الشعراء: ١٠.
(٥) نظم الدرر: ١٤/ ٣ – ٤.
(٦) الفرقان: ٦٣.
(٧) القصص: ٨٣.

بالمعروف من صدق القول، والسداد من اقوالهم؛ لأنّ المؤمنين قوم ذلل، ذلت منهم الأسماع والأبصار، والجوارح، حتى ان الجاهل يحسبهم انهم مرضى، وهم ليسوا كذلك ولكنهم اصحاء القلوب والجوارح لا يترفعون على من غيرهم؛ لأن الخوف من الله قد دخلهم مالم يدخل الى غيرهم، حيث منعهم من ذلك شهوات الدنيا ومن طلب العلا فيها هي معرفتهم بالآخرة، وحبهم لله تعالى، فقالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١] [٢].

وأضاف: "بأن ما أحزنهم حزن الدنيا، ولا تعاظم في انفسهم ما طلبوا به من الجنة، ابكاهم الخوف من النار، وانه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على حسرات الدنيا، ومن لم ير لله عليه نعمة الا في مطعم ومشرب، فقد قل عمله وحضر عذابه؛ لأنه اختار مسرات الدنيا ولم يرض بالهين منها، فأما عباد الله فهم حلماء لا يجهلون، وان جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا، هذا نهارهم فكيف ليلهم، صفوا اقدامهم، واجروا دموعهم على خدودهم لله تعالى"[٣].

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

(١) دلت الآية على انهم موصوفون بالوقار والسكينة والتواضع لله، وإذا خاطبوهم خطاباً يسلمون فيه من الإثم ويسلمون من مقابلة الجاهل بجهله، فقالوا سلاماً، وهذا مدح لهم، بالحلم الكبير ومقابلة المسيء بالإحسان، والعفو عن الجاهل ورزانة العقل الذي أوصلهم الى هذا الحال[٤].

(٢) ان هذه الصفات التي يتحلى بها عباد الرحمن، هي انهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٥]، والمشي إلهين على الأرض، هو دليل على ان عباد الرحمن صفتهم التواضع والذي هو من حسن الخلق، ولين الجانب، وسماحة الخلق، وهذا بخلاف التكبر والمشي الذي يضرب وجه الأرض، تيهاً وفخراً، كما انهم لا يلقون فحش العقول وهجره، يفحش، وهجر مثله فإذا رماهم السفهاء بالكلمة الخبيثة اعرضوا عنها، وقالوا، سلاماً، وليس هذا المشي الهين، او الإمساك عن الفحش من القول، وليس هو عن ضعف وذلة، ولكن هو عن قوة نفس، ومتانة خلق، وكرم طبيعة، فالشجرة الطيبة تعطي ثمراً طيباً، والشجرة الخبيثة لا تعطي الا ثمراً خبيثاً[٦].

---

(١) فاطر: ٣٤.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٩/ ٢٩٣ – ٢٩٥.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٩/ ٢٩٣ – ٢٩٦.
(٤) تفسير السعدي: ٥٨٦/١.
(٥) الفرقان: ٦٣.
(٦) التفسير القرآني للخطيب: ١٠/ ٥٥ – ٥٦.

(٣)وقد وصف عباد الرحمن انهم لو يوطنوا أنفسهم في الدنيا، وانما هم عليها مستوقرون بما أرشدهم اليه سبحانه ونهاهم عن فعل صفة مذمومة وهي التبختر، وامرهم بأن يمشوا عليها هوناً[١].

المطلب الثالث: أثر التواضع على الفرد والمجتمع:

ان صفة التواضع صفة يحبها الله ورسوله لأنها تزرع في نفوس الناس ثمرة طيبة وهي ان الخلق لا يتعالى أحدهم على غيره، فيكونون في الأرض هينين غير متكبرين لذلك نرى ان للتواضع اثراً على الفرد والمجتمع ومنها:

(١)التخلق بمظاهر الخلق الحسن: ان هذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى والتخلق بآداب النفس العالية وزوال بطر اهل الجاهلية، فكانت هذه المشية من خلال الذين آمنوا على الضد من مشي اهل الجاهلية، ولما ذكر ان عمر ﴿رضي الله عنه﴾ انه رأى غلاماً يتبختر في مشيته فقال له: "ان البخترة مشية تكره الا في سبيل الله"[٢] لذلك مدح الله سبحانه وتعالى اقواماً بقوله: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فاقصد في مشيك يا عبد الله؛ لأن هذا الخلق مظهر من مظاهر التخلق بالرحمة المناسبة لعباد الرحمن ولأن الرحمة ضد الشدة، وفيه السلامة من صدم المارين، وان الهون مستعار لفعل الخير لأنه هون على الناس كما يسمى بالمعروف، كما انهم وصفوا بوصف آخر يناسب التواضع وكراهية التطاول وهو متاركة الذين يجهلون عليهم في الخطاب بالأذى والشتم وهؤلاء الجاهلون اذ كانوا يتعرضون للمسلمين بالأذى والشتم فعلمهم الله متاركة السفهاء، فالجهل هنا ضد الحلم[٣].

(٢)محبة الخلق للمتواضعين: ان فضيلة التواضع لله تعالى، تكسب المرء قدراً، ويعظم له خطراً ويزيده نيلاً، ويؤدي الى الخضوع للحق والانقياد له، وهو عين العز؛ لأنه طاعة لله ورجوع الى الصواب، حيث يكفي للمتواضع محبة عباد الله له ويرفع الله درجته وهيبته، وان في التواضع مصلحة الدين والدنيا ويزيل الشحناء بين الناس، ويريح من تعب المباهاة والمفاخرة، مع انه يكسب السلامة ويورث الالفة ويرفع الحقد بين الناس ويذهب الصد عنهم؛ لأن ثمرته المحبة، وإن ثمرة القناعة الراحة، وان تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما ان المتكبر الوضيع يزيد في ضيعته، فوجب على الناس التواضع لأنه يؤلف القلوب، ويفتحها اذا صدئت؛ لأنه يجعل صاحبه

---

١ البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١٧٦/٤.
(٢) الجامع الكبير للسيوطي، جمع الجوامع: ١٤/ ٧٧٤.
(٣) التحرير والتنوير: ١٩/ ٦٨ – ٦٩.

على قدر كبير، ومكانة رفيعة[١]، وعنه ﷺ انه قال: ((بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه وقد اعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة))[٢].

(٣) التواضع يمنع من الانحراف الى الرذيلة: ومن هنا نرى ان القرآن الكريم تميز بالعناية بالإيجابيات أكثر من السلبيات، وبالبناء التشريعي والعقدي والخلقي أكثر من الهدم والفوضى والانحلال، وبالأوامر الحاملة على التهذيب والفضيلة أكثر من النواحي التي تمنع من الانحراف والرذيلة، لذا نجد ان آيات القرآن تعتني بتربية جيل الايمان، ووفد العقيدة، وموكب النور والحضارة، فالإنذار وبيان العيوب ينبه العقلاء الى وهاد الشر والفساد، فأما التبشير والترغيب: فيأخذ بأيدي العلماء الى جادة الحق ومنهج الاستقامة، وهذا ما نجده في وصف عباد الرحمن بصفات جليلة ودائمة[٣].

(٤) وهذه الدروس والعبر الجليلة التي جاءت تبين صفات عباد الرحمن على مر الازمان والعصور فهي صفة حكمت لها السنة بأنها خير ما وصف به العباد، فقال ﷺ: ﴿وَإِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ﴾[٤].

(٥) زيادة المؤمنين عزاً: "هو تحقير النفس واهانتها بالنسبة الى عظمة الله تعالى مع قبول الحق بحسن الخلق، مع ترك الصول والتبرؤ من القوة والحول، والمحافظة على الامر ومجانبة الوزر، وهو رؤية التقصير في عين التوقير"[٥]، وقيل هو: "رضا الانسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته، وهو وسط بين الكبر والانحطاط، وفضيلته لا تكاد تظهر في افناء الناس لانحطاط درجتهم، وانما ذلك يتبين في الملوك واجلاء الناس وعلمائهم وهو من باب التفضل؛ لأنه ترك بعض حقه، والضياع: وضع الانسان نفسه مكاناً يزري به بتضييع حقه، والكبر: رفع نفسه فوق قدره، فالتواضع يعتبر بالأخلاق والافعال الظاهرة والباطنة"[٦] "فالتواضع وسمو النفس، يزيد المؤمن عزاً وجمالاً، فالمؤمن يمشي بسكينة ورفق ووقار، من غير ترفع ولا تعاظم، وهم لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، حيث انهم يعاشرون الناس معاشرة حسنة لينة، من غير غلظة ولا قسوة، مع الاحتفاظ بسمو النفس وعزتها، وترفعها عن الدنيا، ومن غير استضعاف ولا

(١) موسوعة الاخلاق الإسلامية والدرر السنية: ١/ ١٥٣.
(٢) اخرجه مسلم: في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر، ٣/ ١٦٥٤، (٢٠٨٨).
(٣) التفسير الوسيط: ٢/ ١٨١٠.
(٤) اخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة ووصف نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا اهل الجنة واهل النار، ٢١٩٨/٤، (٢٨٦٥).
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ١١١/١.
(٦) الذريعة الى مكارم الشريعة للراغب: ٢١٣/١.

ذلة، واذا اساء اليهم الجهلة، لم يقابلوهم بالإساءة، وانما عفوا وصفحوا، ولم يقولوا الا خيراً، وانما يقولون للجاهل "سلاماً"، من السلامة لا التسليم، او يقولوا قولاً سديداً"[١].

(٦)زيادة المحبة بين المؤمنين: "لذلك وجب ان لا يمتنع من التواضع احد؛ لأن التواضع يكسب السلامة، ويورث الالفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد، حيث تظهر ثمرته في المحبة، وثمرة القناعة الراحة، فإذا تواضع الشريف يزيد في شرفه، كما ان تكبر الوضيع يزيد في انحطاطه، وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بينها يحمل العذرة، فأفضل الناس اليوم من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وانصف عن قوة، ولا يترك المرء المتواضع الا عند استحكام التكبر فلا يتكبر على الناس احد الا بإعجابه بنفسه، وعجب المرء بنفسه احد جماد عقله، وما رأيت احد تكبر على من دونه الا ابتلاه الله بالذلة والمهانة وكره الناس له"[٢].

وأضاف: "بأنه ينبغي على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله الا ان المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة بين الناس، فالتواضع تواضعان احدهما محمود والآخر مذموم، فالمحمود هو ترك التطاول على عباد الله والازراء بهم، والمذموم هو تواضع المرء لذي دنيا رغبة في دنياه، فوجب على العاقل ترك التواضع المذموم في كل الأحوال، وعليه عدم مفارقة التواضع المحمود على كل الجهات، فإنه يرفع المرء قدراً ويعظم له خطراً ويزيده نيلاً، والتواضع لله عز وجل بأن يكون عندما يأتي الطاعات لا يعجب بفعله ولا يرائي له احد الا ان يكون الله تعالى هو الذي يتفضل عليه بذلك[٣]، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العجب عن الطاعات، واما الآخر هو ازدراء المرء بنفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المآثم حتى لا يرى احد من العالم الا ويرى نفسه دونه في الطاعات، وفوقه في الجنايات، فالعاقل يبعد نفسه عن الكبر لما فيه من الخصال المذمومة؛ لأنه لا يتكبر على احد حتى يعجب بنفسه ويرى لها على غيرها الفضل؛ لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم وكفى بالمستحقر لمن اكرمه الله بالإيمان طغياناً، فإنه بذلك ينازع الله في كبريائه والعظمة من صفات الله جل وعلا فمن نازعه في احداهما القاه الله في النار"[٤].

"وقد جاء هذا الامر بهذا الخلق في آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[٥]، وقال تعالى على لسان لقمان لابنه، ﴿وَاقْصِدْ فِي

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي: ١٨١١/٢.
(٢) روضة العقلاء لأبن حبان: ١/ ٦١ – ٦٢.
(٣)روضة العقلاء: ١/ ٥٩ – ٦٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠/١ – ٦٢.
(٥) الاسراء: ٣٧.

فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[١] "ولا تمش أيها الانسان في الأرض مشية الفخور المتكبر المختال بل كن متواضعاً متأدباً بأدب الإسلام في سلوكك؛ لأنك خلقت من الأرض ثم تعود اليها، فإنك لن تخرق الأرض بوطئك عليها، او بمشيك فوقها، ولن تبلغ مهما ارتفعت قامتك الجبال في الطول والعلو، وما دام شأنك كذلك، فكن متواضعاً، لقوله ﷺ: ﴿وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَا رَفَعَهُ الله﴾[٢] لذلك نهت الآية عن التعالي والتطاول على الناس، ونهت عن التكبر والغرور وأن سوء عاقبته الخسران والذلة والمهانة"[٣].

ويرى الباحث ان الله سبحانه وتعالى اهتم بعباده فزادهم رفعة الى رفعتهم، ان هم اختاروا التواضع ليكون سبباً في عدم ضياع هذه الامة وعدم خراب المجتمع، ليكون الناس على درجة من الحلم والأناة فيما بينهم ليستقر وضع هذه الأمة وتكون بها رفعة الدين والدنيا. والله اعلم.

المطلب الرابع: آثر الكبر على الفرد والمجتمع ومنها:

إنّ صفة الكبر قد ذمها الله تعالى في كثير من الآيات لأنها صفة مذمومة تجعل من العباد يتعالى بعضهم على بعض فلا يكاد احد يتواضع لغيره، وهذه الصفة قد تترك آثاراً على الفرد والمجتمع على مر الأيام فتجعل من ذلك الامر هو السائد في البلد فقد يكثر فيها من المفاسد والمباغض التي تؤدي بدورها الى هلاك الفرد والمجتمع ومن هذه المفاسد:

(١) الكبر سبب لهلاك الأمم السابقة: فهؤلاء قوم نوح وما منعهم عن قبول الدعوة والاستماع لنداء الفطرة والإيمان الا الكبر فقال تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[٤]، وايضاً لا يخفى ان قوم عاد كان لهم نصيب في العذاب بسبب تكبرهم على انهم اقوى في الوجود فقال عنهم الله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[٥]، وهذا حال فرعون الذي ملأ الأرض كبراً وعجباً وخيلاء حتى وصل به الحال الحال الى ان ادعى الربوبية والالوهية، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ

(١) لقمان: ١٨ - ١٩.
(٢) اخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب استحباب التواضع، (ج٤/٢٠٠١) برقم (٢٥٨٨).
(٣) التفسير الوسيط : ٨/ ٣٥٣ – ٣٥٤.
(٤) نوح: ٧.
(٥) فصلت: ١٥.

مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[١] لذلك فالكبر في المجتمع سبب رئيس في الاعراض عن آيات الله والصد عنها، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾[٢] وهو ايضاً سبب في حرف الناس عن دين الله، لقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[٣]، وهو سبب رئيس لدخول النار والخلود فيها، لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[٤] [٥].

(٢) إنَّ من شأن الكبر أن يصرف أهله عن النظر والاستدلال على الحق والهدى، لأجل اتباعه، فهم دائماً يكونون من المكذبين بالآيات الدالة عليه وهم الغافلين عنها، وهذا حال الملوك والرؤساء والزعماء الضالين كفرعون وملئه[٦].

(٣) سبب لضياع الحق: ان الكبر هو غمط الحق بعدم الخضوع له واحتقار الناس، فهو شأن من يرى أنه أكبر من أن يخضع للحق، ويساوي بنفسه بشخص، فالتكبر هو أن يكون في الغالب بغير الحق، وقد يتصور ان يتكلف الانسان اعلاء نفسه على غيره او اكثاره من الاستعلاء عليه بحق كالترفع على المبطلين، واهانة الجبارين، واحتقار المحاربين، فهم يتكبرون في حال كونهم متلبسين بغير الحق منغمسين في الباطل، فهؤلاء لا قيمة لهم ولا قيمة للحق في نفسه عندهم؛ لأنهم مرنوا على الضلال، واختاروا مرعى الغي والفساد، فنفروا من الهدى والرشاد، فمن اجتمعت له هذه الصفات، فهو الذي اضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فلم يتنفس له سبيل من أسباب الحق والرشد يسلكها"[٧]

(٤) الكبر استحقار غيره من الناس: لذلك فإن الكبر آفة خطيرة اذا دبت او سادت في المجتمع فإنها تنذر بخطر كبير يلحق بها على مر العصور والازمان، ولهذا فإن الكبر خلق في النفس وهو الاسترواح والركون الى اعتقاد المرء نفسه فوق التكبر عليه، فإن الكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به وبذلك ينفصل الكبر عن العجب فإن العجب لا يستدعي غير المعجب ولا يكفي ان يستعظم المرء نفسه ليكون متكبراً؛ لأنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره اعظم من نفسه او

---

(١) القصص: ٣٨.
(٢) الجاثية: ٧-٨.
(٣) الأعراف: ١٤٦.
(٤) الاحقاف: ٢٠.
(٥) موسوعة الاخلاق الإسلامية: ٢/ ٤٧٠.
(٦) تفسير المنار: ٩/ ١٧٠ - ١٧١
(٧) تفسير المنار: ٩/ ١٧٠ – ١٧١.

مماثلاً لها فلا يتكبر عليه، ولا يكفي ان يستحقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه احقر من غيره تراه لم يتكبر، ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة، ثم يرى نفسه فوق مرتبة غيره، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة خلق الكبر وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في نفسه اعتداد وعزة وفرح وركون الى ما اعتقد، وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى تلك العقيدة هو خلق الكبر(١).

(٥)إنّ ابن آدم خلق ضعيف من خلق الله المحصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي المغرور، فإن ذلك كان عند الله مكروهاً، ثم أكد تعالى النهي عن الخيلاء والتكبر فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾(٢)؛ لأن المشي يتم بالارتفاع والانخفاض فكأنه قيل: انك حال الانخفاض لا تقدر على خرق الأرض ونقبها، واما حال الارتفاع فإنك لا تقدر على الوصول الى رؤوس الجبال؛ لأنك ضعيفاً عاجزاً فلا يليق بك التكبر، واما انك تحت الأرض لا تقدر على خرقها وفوقك الجبال التي لا تقدر الوصول اليها فإنك بذلك محاط بل كل شيء من فوقك ومن تحتك بنوعين من الجماد، وانت بذلك اضعف منها بكثير، والضعيف المحصور لا يليق به التكبر، فتواضع ولا تتكبر فإنك خلق ضعيف من خلق الله المحصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المتكبرين الجالبين لسخط الرحمن عليهم(٣).

فالإنسان يحشر يوم القيامة فرداً، لا حالة له، ولا ناصر، ولا خادم ولا معين، وان استكباره في الدنيا يجزى به عذاب الهون في الآخرة(٤).

ومن الأمثلة التي حصلت لفرعون؛ لأنه علا في الأرض فتكبر وأصبح من المفسدين فدل ذلك على تمكن شدة الافساد في خلقه.

فهذا بفعله اشتمل على مفاسد عظيمة:

المفسدة الأولى: التكبر والتجبر فإنه مفسدة نفسية عظيمة تتولد منها مفاسد جمة من احتقار الناس والاستخفاف بحقوقهم وسوء معاشرتهم وبث عداوته فيهم، وسوء ظنه بهم وان لا يرقب فيهم موجبات فضل سوى ما يرضي شهوته وغضبه، فإذا انضم الى ذلك وانه ولي امرهم وراعيهم كانت صفة الكبر مقتضية سوء رعايته لهم والاجترار على دحض حقوقهم، وان يرميهم بعين الاحتقار فلا يعبأ بجلب

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٤٢٥.
(٢) الاسراء: ٣٧.
(٣) تفسير الرازي: ٢٠ – ٣٤٢ – ٣٤٣.
(٤) أضواء البيان: ١٦/٢.

الصالح لهم ودفع الضر عنهم لتمكن الغرور في نفسه، وان يبتز منافعهم لنفسه ويسخر منهم لخدمة اغراضه وان لا يلين لهم في سياسة فيعاملهم بالغلظة، ومن ذلك بث الرعب في نفوسهم من بطش وجبروت وتكبر، فهذه الصفة المتكبرة هي ام المفاسد وجماعها، فإنه كان من المفسدين[١].

المفسدة الثانية: ان المتكبر يحاول تفريق الامة فيجعلها فرقاً واقساماً مقربين منه ويفهم منه انه جعل بعضهم بضد ذلك وذلك فساد في الامة يثير بينها التحاسد والتباغض، ويجعل بعضها يتربص بكم الدوائر، فتكون الفرق المحظوظة عنده متطاولة على الفرق الأخرى، وتكدح الفرق الأخرى لتزحزح المحظوظين عن خطوتهم بإلقاء النميمة والوشايات الكاذبة فيحلوا محل الاخرين، وهكذا يذهب الزمان في مكائد بعضهم لبعض فيكون فتنة بينهم[٢].

فشأن المتواضع الصالح ان يجعل الرعية منه كلها بمنزلة واحدة كحال الأبناء مع الاب ويقومهم بالعدل واللين، ولا ميزة لفرقة على فرقة، ويكون اقتراب افراد الامة منه بمقدار المزايا النفسية والعقلية.

المفسدة الثالثة: انه يستضعف طائفة من اهل مملكته فيجعلها محقرة مهضومة الحقوق والجانب لا مساواة بينها وبين فرق أخرى، ولا عدل في معاملتها بما يعامل به الفرق الأخرى، في حين ان لها الحق في الأرض ما لغيرها لأن الأرض ملك لأهلها وسكانها الذين استوطنوها ونشأوا فيها[٣]، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤].

ومن آثاره على الفرد:

(١) الحرمان من النظر والاعتبار، ومن حرم النظر والاعتبار، كانت عاقبته البوار والخسران المبين؛ لأنه بقي ملازماً على عيوبه واخطاءه، غارقاً في اوحاله، حتى تنتهي به الحياة غارقاً في وحل الواهمات.

(٢) الإصابة بخيبة الامل، حتى تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي، حيث يبقى منشغلاً بنفسه معرضاً عن ذكر الله ومعرفته، فأصبح عند ذلك مضطرب النفس قلقاً مهموماً بنفسه.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٠/ ٦٨ – ٦٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠/ ٦٨ – ٦٩.
(٣) ينظر: المصدر السابق: ٢٠/ ٦٩.
(٤) القصص: ٤.

(٣) لا يقبل نصحاً ولا توجيهاً ولا ارشاداً من الاخرين، ومثل هذا يبقى غارقاً في عيوبه ونقائصه، ملازماً لها الى ان تنتهي به الحياة[١].

(٤) الحرمان من الجنة واستحقاق العذاب في النار؛ لأن من يعتدي على مقام الالوهية، ويظل مقيماً على عيوبه ورذائله، ستنتهي به الحياة حتماً الى النار.

(٥) الحرمان من العون الإلهي؛ لأنّ المتكبرين قوم كبرت نفوسهم، ومن كانت هذه صفته، فلا حق له في عون إلهي او تأييد إلهي.

(٦) فهو كذلك سبيل الى غضب الله تعالى والتعرض لسخطه.

(٧) نجده دائماً ملازماً للأمراض لما تعانيه نفسه من دناءة وانحطاط[٢].

(٨) اصابته بتعاسة لأن كبره سبيل للبعد عن الناس لأنه في نظر الناس انساناً عديم الشخصية والهيبة، لكنه يريد ان يصنع من كبره شخصية له لكن هذه جاء على عكس ما يريد ويتمنى.

(٩) فهو سبيل للبعد عن الله وطاعته؛ لأنه نازع الله في كبريائه.

(١٠) ان الكبر مهلكة للنفس، مذهب ببركة العمر، عاجزاً مهاناً ذليلاً لأن التواضع سلب منه، عند ذلك حرم من لذة الطاعة والعبادة فختم على قلبه من المتكبرين، فصار مصيره الى نار جهنم وبئس مثوى المتكبرين، فمن كانت هذه حالته أضر بنفسه وبمجتمعه الذي احتضنه لكنه حرم نفسه من الذي آواه وأيده فخرج من رحمة الله تعالى والناس اجمعين[٣].

ويرى الباحث: ان هذه الصفة قد انتشرت في هذه الامة فاصبحت هي السائدة لكون الانسان اذا تربع على العرش واعطي مالاً ساد في نفسه الكبر فاصبح للشيطان اخً له، فهذا ما جعل العباد اليوم تنتقل لهم هذه الصفة في صغيرهم وكبيرهم؛ لأن الايمان قد ضعف في صدورهم بعد ان جثم عليها الشيطان فارداهم في وحل الهزيمة النفسية والخسارة، فكيف يعتري هذه الامة النجاح والسداد ان تركت افرادها مهزومين بما في داخلهم بما أصيبوا به من مرض قتل الحمية فيهم، وانتزع ثوب التواضع وجعلهم مقترنين بهذه الصفة التي لا يحبها الا الشيطان، وهذا هو الخسران المبين.

المطلب الرابع: الحلم:

الحلم: "هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وجمعه أحلام، بقوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٤]، وسمي الحلم لكون صاحبه جديراً بالحلم[١]. فالحلم يعد من

(١) موسوعة الاخلاق والدرر السنية: ٢/ ٤٧٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٤٧٥.
(٣) ينظر: المصدر السابق: ٢/ ٤٧٥.
(٤) الطور: ٣٢.

الصفات التي ذكرها القرآن الكريم: فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، "فدخل في ذلك صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من اخلاق المتقين، وصلة الارحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الابصار، والاستعداد لدار القرار، والحض على التعلق بالعلم، والاعراض عن اهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفاء، ومساواة الجهلة والأغبياء، وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة، فهذه الخصال تحتاج الى بسط"[٣]، وقد بسط ذلك الرسول ﴿ﷺ﴾ عندما قال لأحد الصحابة: ﴿إِنَّ فِيكَ خُصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحُلُمُ، وَالْأَنَاة﴾[٤].

آثار الحلم على الفرد والمجتمع:

(١) الحليم يفوز برضا الله وثوابه.

(٢) وهو بذلك عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود الامر، مرضي الفعل.

(٣) وهذه دليل على اكمال عقله وسعة صدره، وامتلاك امر نفسه.

(٤) قليل من الخلق من يتصف به، وهو صفة من صفات الله سبحانه، كما هي من صفات انبيائه واوليائه ايضاً[٥].

(٥) فهي بذلك تعمل على تألف أطياف المجتمع فيما بينهم حيث يساعد ذلك على نشر المحبة بين شرائح الناس حتى يصبح المجتمع في قمة عالية من الاخلاق، وهو بذلك يزيل البغضاء فيما بينهم، كما انه يمنع الحسد والغل والحقد بين الناس، فهو بذلك يمنع تميل القلوب، فله بذلك عواقب حميدة يطغي ذلك على المجتمع كله، فمن حلم وقى عرضه، ومن جادت كفه حسن ثناؤه، ومن أصلح حاله استغنى، ومن احتمل المكروه كثرت محاسنه، ومن صبر حمد امره، ومن كظم غيظه فشا احسانه، ومن عفا عن الذنوب كثرت اياديه، ومن اتقى الله كفاه همه كله[٦].

(٦) ان الحلم والاناة صفة يحبها الله تعالى، لذلك أوحى الى عباده بالحلم وعدم الجهر بالسوء فيما بينهم، وذلك خوفاً عليهم من الظلم فيما بينهم لأنها مجلبة للعداوة والبغضاء فيما بينهم وبين من

---

(١) المفردات للراغب: ١/ ٢٥٣.
(٢) آل عمران: ١٣٤.
(٣) تفسير القرطبي: ٧/ ٣٤٤ – ٣٤٥.
(٤) صحيح مسلم: كتاب الايمان، باب الأمر بالايمان بالله ورسوله، ٤٨/١، (١٧).
(٥) موسوعة الاخلاق والدرر السنية: ١/ ١٩٥ – ١٩٧.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٥/١ – ١٩٧.

يجهرون بالسوء والى من ينسب اليهم هذا السوء؛ لأن ذلك قد يؤدي الى هضم الحقوق وسفك الدماء، كما ان الجهر بالسوء بذكره على مسامع الناس يؤثر في نفوس السامعين تأثيراً ضاراً[١]،

وأضاف: "فإن الناس يقتدي بعضهم ببعض، فمن سمع انساناً يذكر اخاه بالسوء لكرهه إياه او استيائه منه فإنه يقلده في ذلك القول اذا كان لم يبق له مثله، فإنه بذلك يزداد ضراوة فيه اذا كان قد سبق وقوعه منه، او يقلد فاعل السوء في عمله، خصوصاً اذا كان السامع من الاحداث الذين يغلب عليهم التقليد، او من طبقة دون طبقته في الهيئة الاجتماعية؛ لأن عامة الناس يقلدون خواصهم، فإذا ظهرت المنكرات في الخواص لا تلبث ان تفشوا في العوام، ومن تميل نفسه الى منكر او فاحشة يتجرأ على ارتكابه اذا علم ان له سلفاً وقدوة في هذا العمل"[٢]، ولكنه قد لا يتجرأ عليه اذا لم يعلم بذلك، بل يؤثر سماع القول السوء في نفوس خواص الكهول والاخيار، وليس تأثيره مقصوراً على العوام والصغار، فسماع السوء كعمل السوء، ذاك يؤثر في نفس السامع، وهذا يؤثر في نفس الناظر، واقل تأثيره انه يضعف في النفس استبشاعه واستغرابه، ورب كلمة خبيثة تفتح لمن تعلق بنفسه باباً من الفساد لا ينجو من شره ابد الآباد، لذلك فإن كثير من الناس يجهل تأثير الكلام في قلوب الناس، فلا ينزهون السنتهم عن السوء من القول، ولا اسماعهم عن الاصغاء اليه، لذلك نهى الله عباده عن النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وامره بالتناجي بالبر والتقوى خوفاً على عباده من الظلم فيما بينهم، والجهر بالسوء اشد ضرراً من الاسرار به؛ لأن ضرره وفساده يفشو في جمهور الناس حتى لا يكاد احد يسلم منه، ولكن الله تعالى لا يحب لعباده ان يسكتوا على الظلم ويخضعوا للضيم بل يحب لهم ان يكونوا اعزاء اباة، فإذا تعارضت مفسدة الجهر بالشكوى من الظلم من قول السوء، ومفسدة السكوت على الظلم وهو المؤدي الى هلاك الأمم وخراب العمران، كان عليهم مقاومة الظلم بالجهر بالشكوى بكل الوسائل[٣].

(٧) ان العبودية للرحمن وهي اعلى صفة للإنسان؛ لأنها أعطيت لأكرم الرسل وخاتم الأنبياء ﴿ﷺ﴾ لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٤] فدل ذلك على ان هذه هذه الصفة من اشرف صفات المخلوقات، ولا تعطى الا للمشتغلين بالعبودية حقاً، والا فالكل عبد لله، وهذه الصفة جعلت من عباد الرحمن عباد يمشون في نهارهم مع الناس ويعاملونهم برفق ولين، حيث انهم يمشون في سكينة ووقار، وخضوع وتواضع من غير اشر ولا بطر، ولا عجب

(١) تفسير المنار: ٦/ ٤ – ٦.
(٢) تفسير المنار: ٦/ ٤ – ٦.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦/ ٤ – ٦.
(٤) الفرقان: ١.

ولا كبر، ولا يفسدون في الأرض، ولا يتكبرون على عباد الله؛ لأنهم لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، واذا تعرض لهم غيرهم من الناس بسوء ردوا عليه سلاماً، فهم يقابلون السيئة بالحسنة، لأنهم يعتزون بالله ورسوله، ويدفعون عنهم الذل والعار، ويضربون على ايدي السفيه الاحمق المعاند حتى يكون عبرة له ولغيره.(١)

ويرى ان حال هذه الامة اليوم نجد ان هذه الصفة ربما انعدمت في كثير من الناس فأصبح الكبر سائداً في هذه الامة التي باتت لا ترعى أبنائها لأن المال ساد فيهم فأصبح هو الغالب عليهم، عند ذلك انتشرت الفوضى وانعدم الامن، وسادت البغضاء والشحناء على اتفه الأمور، فلا يوجد حلم ولا اناة بين الناس لأن الواحد منهم اذا تعرض الى مذمة القلب على وجهه وثارت ثائرته فانتقم لنفسه فأصبح يجر اذيال الخيبة والخسران لأنه ارتكب ما يغضب الله تعالى، فبذلك وجب على هذه الامة الرجوع الى الدين وتربية النفس على ما أرادها الله تعالى بأن تواضعوا ليكون ذلك نجاة لهم ورضاة لربهم، لكن إذا بقي الحال على ما هو عليه من الضعف والكبر والتعالي على عباد الله، فإن ذلك الامر ينذر بخطر في ان الناس أصيبوا بالأمراض الفتاكة الا وهي الكبر، وهو منازعة الرب في كبريائه. والله اعلم.

(١) التفسير الواضح للحجازي: ٢/ ٧٣٥ – ٧٣٦.

المبحث الثالث: الأسس التربوية التي تعتني بجانب العبادة

المطلب الأول: التهجد بقيام الليل:

الآية الثانية: وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[١].

المعنى العام:

لقد خص تعالى عباده بصفة أخرى وهي قيام ليلهم خاشعين له تعالى لكي يبدل سيئاتهم حسنات، فمن قام في ليله حصلت له البركة في كل شيء في ماله ورزقه وعياله، وكان ذلك النور يظهر على وجهه؛ لأنه وحد ربه وقام بما أراده منه، لذلك بين أبو حيان صفة هؤلاء العباد فقال: "لما ذكر الله سبحانه وتعالى الى حالهم بالنهار وهم يمشون على الأرض متواضعين لله خاشعين لا يستكبرون على عباده ويخافون ربهم من فوقهم، وانهم يتصرفون أحسن تصرف، فهنا جاء ذكرهم بالليل وهم قائمون يحيون ليلهم بالصلاة، قراءة القرآن، والذكر، لذلك خصت هذه الآية على قيام الليل في الصلاة، ولهذا قدم السجود وان كان متأخراً في الفعل لأجل الفواصل، ومن ذلك ترى ان فضل السجود فهو حالة أقرب ما يكون العبد فيها قريباً من الله تعالى [٢].

وأشار الخطيب الى ذلك: "بأن من صفاتهم ان قلوبهم لا تخلوا من ذكر الله، وانهم يقضون نهارهم في عمل وكفاح من اجل المعيشة، فإذا اقبل عليهم الليل وجنح الظلام اقبلوا على ربهم ساجدين عابدين ذاكرين؛ لأن الليل هو انسب الأوقات للعبادة، من حيث انهم يناجون ربهم سبحانه وتعالى، ففيه تسكن النفوس، وتجتمع الخواطر، وتهدأ القلوب، فهنا يجد الانسان لذة في العبادة لأنه اختلى بربه فوجد منطلقه في عالم الروح، وقد تزاحمت من طريقه السدود التي يقيمها ضجيج الحياة، ولفظ الاحياء اثناء النهار، لذلك نوه القرآن الكريم في اكثر من موضع بشأن العبادة في الليل، وما للعابدين من رحمة عند الله في تلك الأوقات[٣]، من رضاً ورضوان، فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٤]، فهنا ذكر تعالى في قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾، إشارة الى انهم يقصرون عملهم كله في الليل على ذكر الله وطاعته، ولا يشغلهم عن ذكره شيء من الدنيا، فهم لا يذكرون الا الله جل وعلا"[٥].

---

(١) الفرقان: ٦٤.
(٢) البحر المحيط: ٨/ ١٢٧.
(٣) التفسير القرآني للقرآن: ١٠/ ٥٦ – ٥٧.
(٤) الاسراء: ٧٩.
(٥) التفسير القرآني للقرآن: ١٠/ ٥٦ – ٥٧.

وقد خص سبحانه وقت الليل بالذكر؛ لأن العبادة فيه اخشع، وابعد عن الرياء؛ لأن ذلك يكون فقط بين العبد وربه لا أحد يعلم بذلك، فهم يدعون ربهم خائفين طامعين بفضله ورحمته[١].

المطلب الثاني: اثر قيام الليل على الفرد والمجتمع:

إن لقيام الليل ثمرة خاصة تحصل للعبد عن طريق قيامه؛ لأنه ترك الراحة وآثر العبادة عليها فكان له الحظ الواسع في ان يحصل على مغفرة من ربه، ولهذا القيام آثار ومنها:

(١) إيصال القلب بالله تعالى: فقال تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢]، أي ان الصلاة في الليل بعد النوم هي اقرب لتحصيل المقصود من القرآن الكريم، حيث يتواطأ على القرآن القلب واللسان فيزداد تعلقاً بالله تعالى؛ لأن في الليل تقل الشواغل، ويفهم منه ما يقول، وبذلك يستقيم امر الانسان مع ربه، وهذا بخلاف النهار فإنه لا يحصل المقصود من العبادة؛ لأن في النهار تردداً على الحاجات والمعاش، فهنا وجب اشتغال القلب وعدم تفرغه التفرغ التام، ففي قيام الليل يوجد الانقطاع الى الله تعالى والانابة اليه، وهو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله تعالى، وكل ما يقرب اليه، ويدني من رضاه[٣]، لذلك فإن الامر بقيام الليل هو اجمع للقلب على الله عز وجل، وذلك لثقله على النفس من شهواتها، وهو اجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، واوقات المعايش، وهو اشد مواطأة بين القلب واللسان وهو اجمع على أداء التلاوة[٤].

(٢) الثناء من الله على من يقوم الليل بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٥]، وهؤلاء هم الذين يقومون الليل، يجافون جنوبهم إشارة الى ان حال اهل اليقظة والكشف، ليس كحال الغفلة والحجاب، فإنهم لكمال حرصهم على المناجاة، ترتفع جنوبهم عن المضاجع حين ناموا بغير اختيارهم، كأن الأرض القتهم من نفسها، واما اهل الغفلة فيتلاصقون بالأرض لا يحركهم محرك، واما الذين آمنوا فإنهم كلما استيقظوا ذكروا الله عز وجل، اما في الصلاة واما في القيام او في القعود او على جنوبهم[٦]، حال كونهم يدعون ربهم

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي: ١٠/ ٢١٨.
(٢) المزمل: ٢.
(٣) تفسير السعدي: ١/ ٨٩٢.
(٤) الأساس في التفسير: ١١/ ٦٢٠٥.
(٥) السجدة: ١٦.
(٦) تفسير حدائق الروح للهرري: ٢٢/ ٣٥٤ – ٣٥٥.

على الاستمرار خوفاً من سخط الله تعالى وعذابه وعدم قبول عبادته منهم، طمعاً في رحمته وثوابه، فهؤلاء لهم الثناء الحسن من الله تعالى لأنهم اقاموا ما أراد الله تعالى.[١]

(٣)رفع شأن القائمين بالليل: وذلك لقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾[٢]، وبهذا فإن الآية دلت على اسرار عجيبة، ومنها أنه بدأ فيها بذكر العمل وختم فيها بذكر العلم، اما العمل فكونه قانتاً ساجداً قائماً، وهذا يدل على ان كمال الانسان محصور في هذين المقصودين، فالعمل هو البداية والعلم والمكاشفة هو النهاية، لذلك نبه سبحانه وتعالى على ان الانتفاع بالعمل يحصل اذا كان الانسان مواظبا عليه، لذلك فإن القنوت يدل على ان الرجل يحب الطاعات التي تقربه الى الله تعالى، ولهذا فإن فضل قيام الليل ارجح من قيام النهار، ويؤكد ذلك من عدة وجوه: **أولها:** ان عبادة الليل استر عن العيون فتكون ابعد عن الرياء، **والثاني:** ان الظلمة تمنع من الابصار ونوم الخلق يمنع من السماع، فإذا صار القلب فارغاً عن الاشتغال بالأحوال الخارجية عاد الى المطلوب الأصل، وهو معرفة الله تعالى، **والثالث:** ان الليل وقت النوم فتركه يكون اشق على الرجل لكن الثواب فيه اكثر، لذلك رفع الله شأن القائمين بالليل وهم ساجدين قانتين[٣]، فقال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[٤].

(٤)تمحض القلب: ان العبادة في الليل اعون على تمحض القلب لذكر الله، وابعد عن مداخلة أي شيء يرائي به الانسان غيره، وأدل من ذلك هو ايثار عبادة إلهه على حظ النفس من الراحة والنوم؛ لأن الليل ادعى الى طلب الراحة فإذا آثر المرء العبادة فيه استنار قلبه بحب التقرب الى الله تعالى، فلا جرم ان تخصيص الليل بالذكر يدل على ان القانت لا يخلوا من السجود والقيام في أثناء النهار[٥]، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾[٦].

(٥)وقد جاءت السنة تؤكد على أهمية قيام الليل وما للقائمين من شأن عظيم، فقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ﴾[٧].

(٦)استحقاقهم صفة المتقين: لقوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[٨]، وهو انه تعالى مدحهم بهذه الصفة بقلة الهجوع، ولم يمدحهم بكثرة السهر، وما قال: كانوا قليلاً من الليل ما

---

(١) تفسير حدائق الروح: ٢٢/ ٣٥٤ – ٣٥٥.
(٢) الزمر: ٩.
(٣) تفسير الرازي: ٢٦/ ٤٢٨ – ٤٢٩.
(٤) المزمل: ٦.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٣/ ٣٤٦.
(٦) المزمل: ٧.
(٧) اخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل: ١/٤٢٣، (١٣٣٤)، حكم الالباني: صحيح.
(٨) الذاريات: ١٧.

يسهرون، مع ان السهر هو ان الكلفة والاجتهاد لا الهجوع؟، مع ان نومهم عبادة، لكنه تعالى مدحهم بكونهم هاجعين قليلاً، وهذا الهجوع اورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، وهي الاستغفار في وجوه الاسحار، ومنعهم من الاعجاب بأنفسهم والاستكبار، ولا شك ان قليل الهجوع المستغفر في وجوه الاسحار وجد منه التعظيم العظيم، فهذه كلها من افعال المتقين، فإنهم خافوا الله تعالى فعظموه فأظهروا الشفقة على عباده، وكان لهم آيات في الأرض، وفي انفسهم على اصابتهم الحق في ذلك، فإن من يكون له في الأرض الآيات العجيبة يكون له القدرة التامة فيخشى ويتقي، ومن له من انفس الناس حكم بالغة ونعم سابقة يستحق ان يعبد ويترك الهجوع لعبادته، واذا قابل العبد العبادة بالنعمة يجدها دون حد شكر فيستغفر على التقصير، واذا علم ان الرزق في السماء لا يبخل بماله[١].

(٧) "إن هذه الخصال التي ذكرها الله تعالى بحق المتقين هي بعض من الاحسان في العمل وهذا كالمثال الأعظم لحسناتهم، فإن ما ذكر من أعمالهم دال على شدة طاعتهم لله ابتغاء مرضاته ببذل اشد ما يبذل على النفس وهو شيئان: **أولهما:** راحة النفس وقت اشتداد حاجتها الى الراحة وهو الليل كله وخاصة آخرة، اذ يكون فيه قائم الليل قد تعب واشتد طلبه للراحة، **وثانيهما:** المال الذي تشح به النفوس غالباً، وقد تضمنت هذه الاعمال الأربعة اصلي اصلاح النفوس وإصلاح الناس، وذلك جماع ما يرمي اليه التكليف من الاعمال التي فيها صلاح النفس وتزكية الباطن، ففي قيام الليل إشارة الى تزكية النفس باستجلاب رضى الله تعالى عليهم، وفي الاستغفار تزكية الظاهر بالأقوال الطيبة الجالبة لمرضاة الله تعالى، وفي جعلهم الحق في اموالهم للسائلين هو نفع ظاهر للمحتاج المظهر لحاجته، وفي جعلهم الحق للمحروم هو نفع المحتاج المتعفف عن اظهار حاجته الصابر على شدة الاحتياج"[٢].

(٨) ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر في المجتمع: حيث ان القيام ينهى صاحبه عن الذنوب والمعاصي وفعل المنكرات، وذليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٣]، "وذلك لأن قائم الليل إذا كان على الواجب من الخشوع والاخبات حلمت بذلك نفسه نفسه وخامرها ارتقاب الله تعالى فأطرد ذلك في أقواله وافعاله وانتهى بذلك عن الفحشاء والمنكر؛ لأن الصلاة تشتمل على ذكر الله من اقوال وافعال من شأنها ان تكون للمصلي كالواعظ المذكر بالله تعالى اذ ينهى سامعه عن ارتكاب ما لا يرضى الله تعالى"[٤] وقيل لرسول الله ﷺ: "يَا

(١) تفسير الرازي: ٢٨/ ١٦٦ – ١٧١.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٦/ ٣٤٨ – ٣٤٩.
(٣) العنكبوت: ٤٥.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠/ ٢٥٨ – ٢٥٩.

رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: «سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ»"[١]، وهي بذلك صلاة الليل؛ لأن فيها العبد يناجي ربه وحده فبذلك يخاف ان يعود للذنوب والمعاصي فيترك ذلك خوفاً من ربه.

(٩)ان القيام يطرد الداء عن الجسد، فيبعد عنه الضجر والكسل، لقوله ﷺ: ﴿عليكمْ بقيامِ الليلِ فإنَّه دأبُ الصالحينَ قبلكمْ، وقربةٌ إلى اللهِ تعالى، ومنهاةٌ عنِ الإثمِ، وتكفيرٌ للسيئاتِ، ومطردةٌ للداءِ عنِ الجسدِ﴾[٢] "ومعنى ذلك ان قيام الليل قربة تقرب العبد من ربه، وخصلة تكفر بها السيئات، وتنهى العبد عن فعل المحرمات، كما انها تحط من الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة، وانه بذلك يزيد من نور الوجه، ويذهب العجز والكسل من الجسد، ويزيد من نشاط البدن، وينور القبر، وهذا ما يجعل الملائكة ترى موضعه من السماء كما يتراءى الكوكب الدري لنا من السماء"[٣].

(١٠) ان قيام الليل فيه صلاح أبناء المجتمع إذا قام الإباء من الليل الا قليلاً، فإنه بذلك سيصلح الله ذرياتهم ويحفظهم حتى بعد وفاتهم، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[٤]، "وهذا فيه دليل على ان الرجل الصالح يحفظ الله له في ذريته، ويزيدهم خيراً وهذا كله عاد عليهم ببركة عبادته واخلاصه لله تعالى، فبذلك حلت لهم الشفاعة في الدنيا والآخرة، ورفع درجتهم الى اعلى درجة في الجنة، لتقر بذلك عينه بهم"[٥].

(١١) ان لأصحاب القيام سعة في الرزق؛ لأن الله تعالى يرزقهم من حيث لا يحتسبون، وذلك لصبرهم على قيام الليل، فجاء الوعد من الله تعالى فقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2)وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾[٦]، ويحصل له كذلك من خير الدنيا والآخرة؛ لأن في الليل الليل ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله تعالى خيراً من امر دنياه وآخرته الا أعطاه الله ذلك الامر،

---

(١) اخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الصلاة: باب فضل قيام الليل، ٦/ ٣٠٠، (٢٥٦٠)، علق عليه الالباني: انه صحيح، ينظر: التعليقات الحسان: ٤/ ٢٥٣، (٢٥٥١).
(٢) السنن الكبرى للبيهقي: كتاب الصلاة، باب قيام الليل، ٣/ ٧٠٧، (٤٣١٩)، حديث صحيح، حسنه الالباني.
(٣) فيض القدير للمناوي: ٤/ ٣٥١.
(٤) الكهف: ٨٢.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥/ ١٦٨.
(٦) الطلاق: ٢ – ٣.

لقوله ﴿ﷺ﴾: ﴿إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ﴾[١].

(١٢) ان من اهم ما يعين على تثبيت القرآن في الصدر: وهو قيام الليل، لقوله ﴿ﷺ﴾: ﴿إِنَّما مَثَلُ صاحِبِ القُرْآنِ كَمَثَلِ الإبِلِ المُعَقَّلَةِ، إنْ عاهَدَ عليها أمْسَكَها، وإنْ أطْلَقَها ذَهَبَتْ. [وفي رواية]: وإذا قامَ صاحِبُ القُرْآنِ فَقَرَأَهُ باللَّيْلِ، والنَّهارِ ذَكَرَهُ، وإذا لَمْ يَقُمْ به نَسِيَهُ﴾[٢].

(١٣) ولهذا فإن الله تعالى وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلاً منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفاً وطمعاً، وهذا في قيام الليل؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأن جنبه نبا عن مضجعه، فذلك وصف منه بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار[٣]، فقال ﴿ﷺ﴾: ﴿ألا أدلُّكَ علَى أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدَقةُ تطفئُ الخطيئةَ، كَما يطفئُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجلِ في جوفِ اللَّيلِ، ثمَّ تلا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِعِ)[٤]﴾[٥]

وما يراه الباحث ان في القيام يحصل العبد فيه على جنة عرضها السماء والأرض، وسعة في الرزق، وبركة في المال والاهل والأولاد، فلماذا تضيع هذه الفرص في المجتمع الحالي الذي بات اهله منشغلون في دنياهم التي اضرت بأخراهم، فجعلتهم مساكين همهم الدينار، وهمهم الصعود على سلم الدنيا، ولكنهم سرعان ما سقطوا من السلم الذي لم يكن يرتكز على قاعدة اصيلة؛ لأنهم تركوا سنة ربهم وهجروا القرآن، فأصيبت قلوبهم بالنكد والحسرة، فلو رجعنا الى ذكر ربنا لفتحت علينا الدنيا والآخرة، ولكنهم استهانوا بهذا الامر فأعرضوا عن القيام وابدلوا ذلك بالسهر، فأبدلوا ليلهم بنهارهم، فكان ذلك الامر قد أدى الى ان المجتمع قد أصيب بأمور كثيرة وهي رفع البركة من الأرض، جعل من افراده افراداً متفرقين همهم فقط الحياة الدنيا، ولكنهم لو احيوا ما امر الله به لكان ذلك خيراً، واعظم اجراً، والله اعلم.

(١) اخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين، باب في الليل ساعة تجاب الدعوة، ١/ ٥٢١، (٧٥٧).
(٢) ينظر: المصدر نفسه: كتاب صلاة المسافرين، باب الامر بتعهد القرآن، ٥٤٤/١، (٧٨٩).
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٨٠ – ١٨١.
(٤) السجدة: ١٦.
(٥) اخرجه ابن ماجة: كتاب الفتن، باب كف اللسان، ٢/ ١٣١٤، (٣٩٧٣)، الالباني: صحيح.

المبحث الرابع: الأسس التربوية التي تعني في جانب العقيدة

المطلب الأول: الخشية من عذاب الله، وطلب النجاة من النار:

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[١]

المعنى العام:

جاءت الآية تبين أنَّ عباد الرحمن طلبوا من ربهم إن يصرف عنهم عذاب جهنم في حال انهم اذا تمسكوا بالصفات التي أرادها الله تعالى منهم، فوعدهم ان ينجيهم من عذاب جهنم لأن عذابها كان بالكافرين غراما، لهذا فقد بين الامام الرازي فقال: "انه تعالى وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين، ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذاناً بانهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله بأن يصرف عنهم عذاب جهنم؛ لأنه سيكون بها عذاباً هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً، ومنه الغريم لإلحاحه والزامه، وهذا إشارة لكونه مضرة خالصة عن الشوائب النفع، ولهذا سمي غراماً، اما الإشارة الى انها ساءت مستقراً ومقاماً وذلك لكونها دائمة في تعذيب وتعنيف الكفار"[٢].

وأشار القرطبي: "ان الله تعالى طالب الكفار بثمن النعيم في الدنيا فلم يأتوا به، فأغرمهم ثمنها بإدخالهم النار، فبئس هذا المستقر وبئس المقام؛ لأنهم يقولون ذلك عن علم، وإذا قالوه عن علم كانوا اعرف بعظم قدر ما يطلبون، فيكون ذلك اقرب الى النجاح"[٣].

"فالمستقر للعصاة من اهل الايمان فإنهم يستقرون فيها ولا يقيمون، ولكن الإقامة فيها فقط للكفار"[٤] "وذلك لأن الله تعالى سألهم عن النعمة فلم يردوها اليه، فأعزمهم بذلك النار التي ساءت مستقراً ومقاماً، أي بئس المنزل منظراً، وبئس المقيل مقاماً"[٥].

"فالغرام: العذاب المهلك الملح الدائم، وغلب اطلاقه على الشر المستمر، والمستقر: هو مكان الاستقرار، والمقام: هو مكان الإقامة، أي: ساءت موضعاً لمن يستقر فيها بدون إقامة مثل عصاة اهل الأديان ولمن يقيم فيها من المكذبين للرسل المبعوثين إليهم"[١].

---

(١) الفرقان: ٦٥ – ٦٦.
(٢) مفاتيح الغيب: ٢٤/ ٤٨١ – ٤٨٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ٧٢.
(٤) البحر المحيط: ٨/ ١٢٨.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ١١٢.

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

(١) الخوف والخشية من الله: لأن هذا صدر منهم على وجه التضرع والخوف من ربهم، وبيان شدة حاجتهم اليه وانهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وكذلك ليتذكروا منة الله عليهم، فإذا صرف الشدة بحسب شدتها وفظاعتها، فإن ذلك سيقرب الفرج بصرفها عنهم[٢].

(٢) وهذه صفة عباد الرحمن، انما يعبدون ربهم، وهم من عذابه مشفقون؛ لأنه عذاب غير مأمون، فهم بذلك في طمع ورجاء في رحمته، وخشية وخوف من بأسه وعقابه، فهذا حال المؤمنين بالله، خائفون وجلون، الواحد منهم لا ييأس من روح الله، ولا يأمن من بأسه وعذابه؛ لأن العذاب لا يلقاه الا اهل السوء والوبال، فهم في اشأم واسوأ مكان، فكيف إذا كان هذا المكان مستقراً ومقاماً لا يتحول عن اهله؟ وإن اهله اشقى خلق الله، وانكدهم حظاً، وأشامهم مصيراً[٣].

(٣) وقد بينت هذه الصفة ان انجاؤهم من العذاب وذلك بتيسير لهم العمل الصالح وتوفيره واجتناب السيئات[٤].

(٤) والواجب على المؤمنين ان يجعلوا من الدعاء امراً مهماً لهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥]، "فهذا امر من الله بأن يكون الانسان في حالة ترقب وتأهب وتحزن لله عز وجل حتى يكون بين الرجاء والخوف يحملانه في طريق الاستقامة لأنه اذا انفرد احدهما هلك الانسان؛ وذلك لأنه يجب ان يغلب الخوف الرجاء طول الحياة، فإذا جاء الموت غلب الرجاء"[٦]، لذلك وضع عباد الرحمن جهنم في اعينهم فكان دعاؤهم ان يصرف عنهم عذاب جهنم؛ وذلك لأن كل انسان سيمر عليها، لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[٧]، وكان ﴿ﷺ﴾ يدعو فيقول: ﴿اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ﴾[٨].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٩/ ٧١.
(٢) تفسير السعدي: ١/ ٥٨٦.
(٣) التفسير القرآني: ١٠/ ٥٧.
(٤) التحرير والتنوير: ١٩/ ٧٠.
(٥) الأعراف: ٥٦.
(٦) المحرر الوجيز لأبن عطية: ٢/ ٤١١.
(٧) مريم: ٧١.
(٨) اخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب ما يستفاد منه في الصلاة، ١/ ٤١٣، (٥٩٠).

المطلب الثالث: أثر النجاة من عذاب جهنم:

(١)انها العظمة، فهم لا يذكرون عذاب من يدخل النار، ولكنهم يذكرون خزي الله لمن دخل النار، وكأنه الخزي مرتبته أشر من عذاب النار، فمن اخزاه الله جعل جهنم مثواه، وما الذي يحدث بهؤلاء الذين يدخلون النار، انه الخزي والعياذ بالله، وليس لهم أنصار يمنعون عنهم العذاب[١].

(٢)والذي ينجيه الله تعالى من عذاب النار فقد انجاه من خزي الدنيا وما يعقبه من الظلم من فساد العمران، المفضي الى الذل والهوان، وناهيك بظلم يحل القيود ويهدم الحدود، ويعزي الناس بالفواحش والمنكرات، ويسهل عليهم سبل الشرور والموبقات، وهو ظلم لا يفلح معه الناس؛ لأنه سعي في الخراب الذي يهدم كيان المجتمع بأسره، فهذا الذي أراد عباد الرحمن النجاة منه[٢].

(٣)وهذا يدل على ان النجاة من عذاب جهنم هو نصر عظيم وامر بليغ لأنه خلاص من خزي وعار ما يلحق به من الذلة والفضيحة والهوان والخيبة عندما ينكشف النفاق ويظهر للناس كذبهم وباطلهم، ويعلوا الحق على ما جاءوا به من باطل، كما يصدق في كل زمان على من يفسدون كفسادهم، فيفشوا منهم الكذب والنفاق، ويغلب عليهم فساد الاخلاق، فهذا خزي الدنيا الذي يعقبه عذاب النار[٣].

(٤)لذلك فإن الدنيا زائلة فهم بذلك طلبوا من ربهم ان يحميهم من عذاب النار؛ لأن الدنيا بقلة وفائها، وحقارتها، وكثرة جفائها، وخسة شركائها، وسرعة انقضائها، ويرى أهلها وعشاقها صرعى حولها، وقد بدعت بهم، وعذبتهم بأنواع العذاب، ضحكتهم قليلاً، وابكتهم طويلاً، واسقتهم سمها، بعد كؤوس خمرها، فسكروا بحبها، وماتوا بهجرها، فجاءت النار بتوقدها، واضطرامها، وشدة حرها، وعظيم عذاب أهلها، فيشاهدهم وقد سيقوا اليها سود الوجوه، فهذا خزي النار[٤].

ويرى الباحث ان هذه الصفات التي داوموا عليها ستكون حجاب لهم من نار جهنم؛ لأنهم تواضعوا فرفع الله شأنهم، وعز قدرهم، فحرم عليهم النار، في حال ان تمسكوا بهذه الصفات، لكن ما نراه ان هذه الامة قد جعلت هذه الصفات وراء ظهرها، فأبدلتها بصفات اغضبت الرحمن عليهم، فأصابها الذل والهوان، متى ما عادت الى رشدها أبدلها الله ثوب العزة والكرامة والنجاة من النار، والله اعلم.

---

(١) تفسير الشعراوي: ٤/ ١٩٦١.
(٢) تفسير المنار: ١/ ٣٥٧.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٦/ ٣٢٣.
(٤) مدارج السالكين لأبن القيم: ٣/ ٢٣٥.

المبحث الخامس: الأساس التربوي الاجتماعي:

المطلب الأول: الاعتدال في الانفاق وعدم الاسراف:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(١)

المعنى العام:

أراد الله تعالى من عباده ان ينفقوا في سبيله ولا يسرفوا؛ لأن في الاسراف حسرة والماً؛ لأنه اذا اسرف فقد يقعد ملوماً محسوراً، لا احد يعينه على ذلك الامر، كما اوصاهم بعدم الاقتار؛ لأن ذلك يؤدي الى شح النفس والبخل عليها فتخرجهم من الصفة التي أرادها الله تعالى لهم، وقد بين الامام الطبري ما أراده الله تعالى: "إن هذه صفة المؤمنون الذين لا يسرفون فينفقون ذلك في معصية الله، وهم لا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى، والاسراف: ما جاوز الحد الذي اباحه الله تعالى لعباده الى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك؛ لأن المسرف والمقتر هم كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصاُ فيهما ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتر مذموماً؛ لأن ما اذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم"(٢).

وبين الواحدي: "أن انفاق المؤمنين كان بين الاسراف والاقتار لا اسرافاً يدخل في حد التبذير، ولا تطبيقاً يضر به في حد المانع لما يجيب، وهذا هو المحمود في النفقة"(٣)، "لذلك وجب عدم مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا، وان كان من حلال، فإن ذلك مكروه لأنه يؤدي الى الخيلاء، والاقتار هو التضييق فالأكل فوق الشبع بحيث يمنع النفس عن العبادة سرف وان اكل بقدر الحاجة فذلك اقتار، وهذه صفة أصحاب النبي ﴿ﷺ﴾ حيث كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة، ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعهم ويعينهم على عبادة ربهم، ويلبسون ما يستر عوراتهم ويصونهم من الحر والبرد"(٤) "فيكونوا غير مبذرين في انفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة، ولا يكونوا بخلاء على اهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل هم عدلاً خياراً، فخير الأمور اوسطها، حتى يكونوا بين ذلك قواماً"(٥).

---

(١) الفرقان: ٦٧.
(٤) جامع البيان: ١٩/ ٢٩٨ – ٣٠٠.
(٣) التفسير الوسيط للواحدي: ٣/ ٣٤٦.
(٤) تفسير الرازي: ٢٤/ ٤٨٢.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ١١٢.

المطلب الثاني: الأهداف والمقاصد لهذه الآية:

(١) إن هذه الآية قد بينت ان الذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وإن أفرط، والمسرف هو المنفق في المعصية وان قل انفاقه، والمقتر هو الذي يمنع حقاً وان كان عليه.

(٢) النفقة في المعصية قد حذرت الشريعة منه وان كان قليل او كثير، وهؤلاء الموصفون منزهون عن ذلك، وانما التأدب في هذه الآية هو في نفقة الطاعات والمباحات.

(٣) جاءت الشريعة توضح للإنسان الا يفرط في شيء حتى لا يضيع حقاً آخر او عيالاً بدون مأوى أو مصرف، والا يضيق ايضاً فيقتر حتى يجمع المال فيصاب في الشح، والحسن في ذلك هو القوام، والقوام في كل واحد بحسب عياله وماله، فخير الأمور اوسطها، ومن الدروس والعبر هو ما فعله النبي ﷺ مع أبا بكر حيث تركه يتصدق بجميع ماله لن ذلك وسط بالنسبة الى صبره وجلده في الدين، ولكنه ﷺ منع غيره من ذلك[١] [٢].

(٤) فالإسراف يؤدي الى اتباع هوى النفس فينفق في الهوى وما تمليه عليه نفسه، ولو كان فلساً، وأما إذا كان الاسراف لله فلا يعد هذا اسرافاً، ولو الفاً، وأما الإقتار: فهو ما كان ادخاراً عن الله، فأما التضييق على النفس فهو مقتاً لها عن اتباع الشهوات، ولتتعود على الانفاق في اليسير فهذا ليس بالإقتار المذموم[٣].

(٥) ولهذا فان مجاوزة الحد المشروع في الاسراف حتى يدخل في التبذير فذلك حرام لأنه معصية لله تعالى، لقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[٤]، فالإنفاق على من وجب نفقته عليه بحيث لا يجيعهم ولا يعريهم فهو فريضة، والامساك عنه هو امساك عن فريضة الله تعالى، والإنفاق يكون بين ذلك، أي: بين الإسراف والإقتار قواماً، أي: قصداً وسطاً حسناً[٥].

المطلب الثالث: أثر الاسراف على الفرد والمجتمع:

إن للإسراف مفاسد كثيرة حيث يبقى الانسان يلوم نفسه على ما بذره في طرق الشر ظاناً انه سلك طريق الخير، ولكنه لم يعلم انه سلك طريق الشر فأطاع الشيطان في ذلك، لذا فإن للإسراف آثار عظيمة جداً ومنها:

---

(١) الجواهر الحسان للثعالبي: ٤/ ٢١٨.
(٢) شرح السنة للبغوي: ٦/ ١٨١.
(٣) البحر المديد لأبن عجيبة: ٤/ ١١٦.
(٤) الاسراء: ٢٧.
(٥) تفسير المظهري: ٧/ ٤٧ – ٤٨.

(١)إن المبذرين هم إخوان الشياطين: لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[١]، والحكمة فيها أنه تعالى سمى المبذرين للمال إخوان الشياطين؛ وذلك لأنهم يفسدون نظام المعيشة بإسرافهم بغير حق، وأنهم في ذلك يكفرون بالنعم بعدم حفظها ووضعها في مواضعها بالاعتدال؛ لذلك كان الشيطان لربه كفورا، فلعل الإسراف في الإنفاق سيكون عاقبة فاعله أنه يكون ملوما من الناس، و محسورا في نفسه، والمحسور منحسر عنه ستره، فانكشف عنه المغطى، فهو من انحسرت قوته، وكشفت عجزه، والمحسور والمغموم فهو في ذلك أيضا، وكل هذه المعاني تصح في وصف المسرف في النفقة حيث سيوقعه إسرافه هذا في العدم والفقر، و حسير البصر كليله وقصيره[٢].

"وقد نهانا القرآن عن التبذير حتى في مقام الانفاق والتصدق المؤكد وجعل المبذر كالشيطان مبالغاً في الكفر، وبين سوء عاقبة المتوسع في النفقة الى حد الاسراف، فهذا مما جعلنا اشد الأمم اسرافاً، وتبذيراً، واضاعة للأموال، وجهلاً بطرق الاقتصاد فيها، وتثميرها، وإقامة مصالح الامة بها في هذا الزمن الذي لم يسبق له نظير في ازمنة التاريخ من حيث توقف مصالح الأمم، ومرافقها، وعظمة شأنها على المال حتى ان الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد، التي ليس في ايديها مال كثير قد صارت مستذلة، ومستعبدة بغيرها من الأمم الغنية بالبراعة في الكسب، والإحسان في الاقتصاد، فالسبب فيما نحن عليه الآن من سوء الحال في ديننا ودنيانا، هو مخالفة نص كتابنا لأننا اخذنا بالتقليد الذي حرمه الله علينا، فتركنا هداية القرآن، وجعلناه وراء ظهورنا، واخذنا في الاخلاق والآداب التي هي روح حياة الأمم بأقوال فلان وفلان من الجاهلين، الذين لبسوا علينا بلباس الصالحين"[٣].

وأضاف: "بأن هؤلاء نفثوا في هذه الامة سموم المبالغة في التزهيد، والحث على انفاق جميع ما تصل اليه اليد، وانما كان من ذلك ان اكثرهم يريد انفاق من كسب الكاسبين عليهم، وهم كسالى لا يكسبون، لزعمهم انهم بحب الله مشغولون، حتى صار من المعروف المقرر عند جميع شعوب المسلمين ادرار المال والرزق على علماء الدين، وشيوخ الطريق، منهم يأكلون مال الامة بدينهم، لذلك جاءت الآية تحرض الناس على حفظ المال، والتعريف بقيمته، فلا يجوز للمسلم ان يبذر أمواله؛ لأن السلف (رضي الله عنهم) كانوا من اشد الناس محافظة على ما في أيديهم من أموال، وهم اعرف الناس بتحصيل المال من وجوه الحلال، لكن ما مر بهذه الأمة من ان بعض الناس يأمر بإغراء الناس بالكسل والخمول، حتى

(١) الاسراء: ٢٧.
(٢) تفسير المنار: ١١/ ٢٠٥.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٣١٣ – ٣١٤.

صار المسلم اليوم يعدل عن الكسب الشريف الى الكسب المرذول من الغش والخداع، والحيلة؛ لأن الانسان بطبعه ميال الى الراحة، فعندما يسمع من يأمره بعبارات التزهيد في الدنيا فإنه بذلك يرضى لنفسه الميل الى الراحة، ثم انه لابد من الكسب فيختار اقله سعياً، واخفه مونة، وهو أخسه، وابعده عن الشرف، على ان هذا التزهيد في الدنيا من هؤلاء لم يأت بما يساق لأجله من الترغيب في الآخرة، والاستعداد لها[١]، وهم بذلك زهدوا الناس في الدنيا وقطعوهم عن الآخرة والاستعداد لها، وهم بذلك زهدوا الناس في الدنيا وقطعوهم عن الآخرة فخسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وما ذلك الا لجهلهم وعدم علمهم بما يعظون به غيرهم، والواجب على المسلم بالإسلام ان يبين للناس الجمع بين الدنيا والآخرة"[٢].

"ولهذا فإن المال هو سبب التنازع والتعادي والتقاتل على الشهوات الباطلة والسلطة الظالمة، واستعباد القوي للضعيف، كما انه سبب الاستكبار والعلو في الأرض، فأن ضرره كبير على المجتمع بأسره، وشره مستطير، فهو يزيد من ضراوة البشر بسفك الدماء، حيث يورثهم الحقد والعداوة والبغضاء، ويكثر الحسد فيما بينهم، لذلك اشتدت هذه المفاسد في هذا الزمان، فبدأ تخريب العمران، وساد الجهل بموازين الحياة جميعها"[٣].

(٢) ان مصيبة المجتمع أعظم في حال التقتير، فمصلحة المجتمع ان تنفق، وان تدخر؛ لأن الاسراف مفسد لحياة الافراد والجماعات، والذي يقتر فإنه يقتر على نفسه وعلى الناس، ولا شك ان التقتير يحدث كساداً، ويحدث بطالة بين افراد المجتمع فيصاب المجتمع بالكساد والركود، وهما من اشد الامراض فتكاً بالمجتمع[٤].

(٣) ان التبذير هو سبب في ضياع مال الشخص ومال الامة بأجمعها[٥].

(٤) ان الاسراف والتقتير مفسد لحياة الناس والمجتمعات والأمم؛ لأنه تضييع للمال في غير حقه، والتقتير امساك له عن وجوهه المشروعة، اما الوسط والاعتدال في إنفاق المال، فهو سمة من سمات العقلاء الذين على اكتافهم تنهض الأمم، وتسعد الافراد والجماعات[٦].

(٥) ان عدم الاسراف سمة من سمات الإسلام التي يحققها في حياة الفرد والجماعة، ويتجه اليها في التربية والتشريع، ويقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال، فالمسلم ليس حراً في انفاق أمواله الخاصة كما يشاء، كما هو الحال في النظام الرأسمالي، وعند الأمم التي لا يحكمها التشريع

(١) ينظر: المصدر السابق: ٤/ ٣١٣ – ٣١٤.
(٢) تفسير المنار: ٤/ ٣١٣ – ٣١٤.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١/ ٢٢٧ – ٢٢٨.
(٤) تفسير الشعراوي: ١٧/ ١٠٥١٩ – ١٠٥٢٠.
(٥) التفسير المنير: ١٩/ ١٠٨.
(٦) التفسير الوسيط: ١٠/ ٢١٩.

الإلهي في حياتها على كل الميادين، وانما هو مقيد بالتوسط بين الامرين، الاسراف والتقتير، فالإسراف مفسدة لنفوس البشر، ومذهبة للمال، ومضيعة لحال المجتمع، والتقتير مثله في حبس المال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله، فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية، والاسراف والتقتير يحدثان اختلالاً في المحيط الاجتماعي والمجال الاقتصادي؛ لأن حبس المال يحدث أزمات تلو الازمات على مستوى المجتمع، ومثله اطلاقه بغير حساب وذلك فوق سمات القلوب والأخلاق، والإسلام هو ينظم هذا الجانب من الحياة يبدأ من نفس الفرد، فيجعل الاعتدال سمة من سمات الايمان، فيكون بين ذلك من الامور قواماً[١].

(٦) ان الله تعالى قد بغض الاسراف للناس لأنه سبحانه لا يحبه ولا يرضاه لعباده؛ لأن الاسراف يؤدي الى الاضرار بأبدانهم، وحرمان لغيرهم، وضياع لذوي الحاجة، من الجماعة الإسلامية، وما من مسرف الا وراءه حق مضيع، وقد أكد سبحانه بغضه للإسراف بنفي المحبة، ومحبة الله مطلب المؤمنين، والمسرف هو من ينفق مبذراً فوق طاقته، بأن يكثر من الطغيان فوق طاقته فإن ذلك تبذير منهي عنه، وكذلك ان ينال من الطعام ما يثقل معدته وامعاءه، وجسمه، فيصاب بالأمراض جراء اسرافه بغير حق[٢].

(٧) ولكن هذا حال الانسان لأنه جبل على الاقتار فقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾[٣]، "ولو ان الله تعالى ملك خزائنه وخيراته للناس، فأصبح في أيديهم خزائن لا تنفذ، ولا يخشى صاحبها الفقر، ولو حدث ذلك لأمسك الانسان وبخل وقتر خوفاً من الفقر والعازة؛ لأنه بذلك جبل على الإمساك والتقتير حتى على نفسه، وخوف الانسان من الفقر ولو انه يملك خزائن رحمة الله التي لا نفاد لها ناتج عن عدم قدرته على تعويض ما انفق؛ ولأنه لا يستطيع ان يحدث شيئاً، والبخل يكون على الغير، فإن كان على النفس فهو التقتير، وهو سمة واضحة ومخزية، فقد يقبل ان يضيق الانسان على الغير، اما ان يضيق على نفسه فقد اقتضى ما يمكن تصوره[٤].

(٨) ان الاسراف إذا إعتاده الرجل حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب بذلك مذمات كثيرة، فهو بذلك ينتقل من ملذة الى ملذة فلا يقف عند حد، فتبين ان الاسراف من الاعمال التي لا يحبها الله تعالى، فهو من الاخلاق التي يلزم الانتهاء عنها، ونفي المحبة مختلف المراتب، فيعلم ان نفي المحبة يشتد بمقدار قوة الاسراف، وهذا حكم مجمل وهو ظاهر في التحريم.

---

(١) الأساس في التفسير: ٧/ ٣٨٨١ – ٣٨٨٢.
(٢) زهرة التفاسير: ٦/ ٢٨١٨ – ٢٨١٩.
(٣) الاسراء: ١٠٠.
(٤) تفسير الشعراوي: ١٤/ ٨٧٧٤.

(٩) عدم محبة الله للمسرفين؛ لأن الافراط في تناول الملذات والطيبات، والاكثار من بذل المال في تحصيلها، قد يفضي غالباً الى استنزاف الأموال الكثيرة والشره الى الاستكثار منها، فإذا ضاقت على المسرف أمواله عند ذلك يبدأ بتحصيل الأموال بطرق ووجوه فاسدة، ليخمد بذلك نهمته الى اللذات، فيكون ذلك دابة، فربما ضاق عليه ماله، فشق عليه الإقلاع عن معتاده، فهو بذلك يعيش في كرب وضيق، وربما جاء بالمال من وجوه غير مشروعة، فوقع فيما يؤاخذ عليه في الدنيا او في الآخرة، ثم ان ذلك قد يعقب عياله خصاصة وضنك المعيشة، قد تفضي الى ملامح وتوبيخ وخصومات قد تؤدي الى ما لا يحمد عقباه في اختلال نظام الفرد والعائلة والمجتمع، فأما الإنفاق في وجوه البر فإنها لا توقع في مثل هذا؛ لأن المنفق لا يبلغ فيها مبلغ المنفق لمحبته لذاته؛ لأن داعي الحكمة قابل للتأمل والتحديد بخلاف داعي الشهوة[١].

(١٠) ان تزكية الانفس يجب ايقافها عند حد الاعتدال، وذلك باجتناب الافراط والتفريط؛ لأن الله تعالى جعل من سنته في خلقه انه من الواجب سلامة البدن وصحته من أسباب سلامة العقل وسائر قوى النفس، لذلك حرم عليه ما يضر بجسده، كما حرم عليه ما يضر بروحه وعقله وموازينه، فمن ضعف جسده، وعجز عن القيام بالصلاة والصيام والحج والجهاد والكسب الواجب عليه للنفقة على نفسه وعلى من يجب عليه نفقتهم، وعلى مصالح امته العامة، فإن لم يعجز عن القيام بها كلها، عجز عن بعضها، أو من الكمال فيها غالباً، فإن ذلك يؤدي الى قلة في نسله، ويجيء قميئاً ضعيفاً أو ينقطع البتة، فهو بذلك اساء الى نفسه والى الامة والمجتمع.

فهؤلاء يكونون كالأنعام، بل اضل لما يجنون به على انفسهم؛ وذلك لأنهم بإسرافهم في الطعام وغيره فإنهم يصابون بأمراض تكون سبباً لقصر آجالهم، واسراع الهرم فيهم، والقليل من الناس ينحرفون عنه الى جانب التفريط والتقصير، وان التزام صراط الاعتدال المستقيم هو اعسر واشق على النفس، وأدل على الفضيلة والعقل، فالمفرطون بتعمد التقشف هم الذين كثيراً ما يفترون بأنفسهم ويفتر الناس بهم، فهم على انحرافهم عن صراط الدين يدعون او يدعى فيهم انهم اكمل الناس في اتباع الدين، ولا يخطر على بال المسرف انه يدعي انه متبع هدي الدين في اسرافه، بل هو على غير ذلك[٢].

---

(١) التحرير والتنوير: ٨/ ١٢٣ – ١٢٤.
(٢) التحرير والتنوير: ٧/ ٢٦ – ٢٧.

(١١) ان النهي عام يشمل الاسراف في اكل الإنسان من ماله بغير سرف، وفي انفاقه على غيره من صدقة وغيرها، في الإسراف مذموم في كل شيء[١]؛ وذلك لما يولده من الضعف والأمراض كما أنه مفسد للآداب والأخلاق[٢].

ويرى الباحث ان الاسراف في المال قد يضيع صاحبه فتراه يسرف في غير شرع الله الذي شرعه له، فنجد ان هناك كثير من افراد هذه الامة يبذرون أموالهم على طرق الحرام يحسبون ان ذلك خيراً، لكن ذلك الامر قد أدى بهم الى مسالك الشيطان فتنازعوا بينهم وركبوا أمواج البحر من اجل سرقة الأموال واسرافها على امر قد نهى الله عنه، فكان عاقبة ذلك ان استحوذ عليهم الشيطان فكانت بيوتهم خراباً، وسادت المساوئ في المجتمع فكثر الحرام حتى ظن أصحاب الحق ان هذا هو الحق فعلاً، ولكنه الباطل بعينه حيث صرف قلوب الناس عن الاهتداء بما أراده الله منه، فجعل قلوبهم قاسية كالحجارة، ولو ردوا الى الله لكان خيراً لهم واقوم، والله اعلم.

المطلب الرابع: أثر الاقتار على الفرد والمجتمع:

إن الاقتار يكون ضد الانفاق، فهو يجعل من الانسان عبداً لماله فلا يكاد ينفق في مسالك الخير؛ لأنه اختار لنفسه الركون في حضن الحياة الدنيا، فأصابه من ذلك آثاراً عظيمة ومنها:

(١) الحرمان من الأجر والثواب.

(٢) البخل سبب في ضعف الايمان واضمحلاله لما فيه من سوء الظن بالله، كما انه سبب في كراهية الناس له، فهو مكروه حتى من أقرب الناس اليه، وقد يصل الحد بهم الى ان يدعوا عليه ويتمنوا زواله لما حرمهم من الأموال.

(٣) فهو ايضاً سبب في حرمان الرزق، والوقوع في الاثم بسبب منعه لما يجب عليه من حقوق وواجبات.

(٤) حرمانه من لذات الدنيا المباحة بسبب شحه وبخله.

(٥) حيث ان يعرضه لكشف عيوبه للناس، وايضاً يعرضه على ملازمة الأسواق لجمع المال لزيادة ماله.

(٦) البخل صفة تجر صفات أخرى، كالجهل، والحسد، وسوء الظن بالله، وغيرها من الاخلاق الرذيلة.

---

(١) تفسير المنار: ٨/ ١٢٢.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠/ ٣٥.

(٧)ومن صفاته الأخرى، فهو يمحو الصفات الإنسانية، واثبات عادات الحيوانية.

(٨)افساد العلاقات بين أطياف المجتمع واعاقة الصلح بينهم، حيث يصبح المجتمع كله مبنياً على أناس لا يعلمون قيمة دينهم ولا قيمة اخلاقهم فهو بذلك يسود الضعف والعداوات وقلة الخير فيما بينهم.

(٩)الشح من صفات المنافقين: لقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[١].

(١٠) الانسان البخيل لا خير فيه ولا عنده؛ لأنه لا ينفع لا اهله ولا مجتمعه؛ لأنهم بذلك جمعوا الجبن والكذب وقلة ما يقدم من خير للمجتمع.

(١١) البخل سبب في هلاك المجتمع وفساده في كل ميادين الحياة، فهو اسوء صفة يصاب بها الانسان.

(١٢) وكذلك فإنه يوقع الانسان في كبائر الذنوب، وهو سبب رئيس لخسارة الدنيا والآخرة، فينبغي الحرص على الإقلاع عن هذا الخلق الذميم[٢].

لذلك فالحرص يستلزم ركوب اهوال الدنيا واهوال الدين فإنه اذا اشتد حرصه وبخله على الشيء فقد لا يقدر على تحصيله الا بمعصية الخالق وايذاء الخلق، واذا طال حرصه واماله في الدنيا عند ذلك نسي الآخرة وصار غريقاً في الدنيا فلا يكاد يقدم على التوبة وترك الدنيا، ولا يكاد يؤثر فيه الوعظ فيصير عند ذلك قلبه كالحجارة او اشد قسوة، لذلك ادعى الشيطان القاء اكثر الخلق في مرض الدين، وضرر الدين، وهذا المرض اما ان يكون من التشوش والنقصان والبطران؛ وذلك لأن صاحب الاماني يشغل نفسه وعقله وفكره في استخراج المعاني الدقيقة والحيل لاستحصال المطالب الشهوانية[٣].

وهذا يبين ان الإسلام دين البشر العام الدائم، فلا يقرر فيه الا ما يخدم مصالح الناس كلهم في دينهم ودنياهم، لذلك عندما رأى الإسلام ان الأمم قد افسدها المال عن طريق افساد اخلاقها فأثروا دنياهم على دينهم فأسرفوا في الظلم والعدوان، لذلك ذم الإسلام استعمال المال فيما يضر من الاسراف والطغيان وذم اكله بالباطل ومنع الحقوق المفروضة فيه، والبخل على الفقراء والضعفاء، ومدح اخذه بحقه، وبذله في حقه، وانفاقه في سبيل الله بما ينفع الناس ويعز الملة ويقوي الأمة ويكون

(١) الأحزاب: ١٩.
(٢) موسوعة الاخلاق، الدرر السنية: ٢/ ١٦٢ – ١٦٣.
(٣) تفسير الرازي: ١١/ ٢٢٣.

عوناً لها على حفظ هيبتها واستقلالها وحقيقتها، لذلك فإن الكمال البشري ان يعمل الانسان الخير لذاته أو لأنه خير لا لعلة، أو ان يعمله رجاء ثواب الآخرة أو خوفاً من عقابها، أما من قصد عمل الخير من خلال تزكية النفس وترقية روحه بحيث تكون راضية مرضية عند رب العالمين، فإذا أراد ان يكون كاملاً فعليه قصد النفع بعمله لغيره دون نفسه لغرض نصرة دينه وتركه لدنيا لا خير فيها الا عبادة الله تعالى(١).

وهذا ما تدعو اليه القاعدة الأساسية للقرآن في المال انه فتنة، أي اختبار وامتحان للبشر في حياتهم الدنيوية من معايش ومصالح، لذلك فهو الوسيلة الى الإصلاح والافساد، والخير والشر، والبر والفجور، وهو مثار التنازع والتنافس في كسبه وانفاقه، وكنزه واحتكاره وجعله دولة بين الأغنياء وتداوله في المصالح والمنافع بين الناس، فقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(٢).

ومن هذا يتبين ان الانسان اذا تجاوز حدود الحق والعدل والفضيلة إذا رأى نفسه غنياً بالمال، لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾(٣)، لذلك ذم تعالى البخل بالمال والكبرياء به والرياء في انفاقه، لقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٤)، والفحشاء هو البخل؛ لأن الشيطان يصدكم عن الانفاق في سبيل الله بتخويفكم من الفقر، ويأمركم بالبخل الذي فحش شره وضرره(٥).

ويرى الباحث ان الانفاق والابتعاد عن الاسراف والبخل والتبذير لأنها من صفات عدو الله ابليس، لكن هذا الامر في هذه الأمة فأصبحت هذه الأمور هي السائدة على نطاق واسع وهو مرض أصاب العباد فعندما يكثر الانسان ماله يصاب بالبخل ولا يعلم انه ابتلاء من الله فيطغي، ومنهم من كثر ماله فإنه يسرفه على الحرام وايضاً ذلك ابتلاء له فقد أصبح على الكفر ولا يعلم، لهذا حذر الله من هذه الأمور.

(١) تفسير المنار: ١١/ ١٧٩ – ١٨٠.
(٢) آل عمران: ١٨٦
(٣) العلق: ٧.
(٤) البقرة: ٢٦٨.
(٥) تفسير المنار: / ٢٢٣ – ٢٢٥.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أتم بنعمته الصالحات فكانت خيراً ثواباً وخيراً مرداً، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى، فمن اخذ به اهتدى، ومن اعرض عنه ضل وعمى، الحمد لله الذي زادنا علماً وانعم بإتمام النعم، وأتم علينا هذا العمل، أسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، أما بعد، فهذه اهم النتائج التوصيات التي توصلت اليها في هذا البحث:

(١) أنّ القرآن هو الكنز الذي لا يفنى من الفوائد والعلوم التي تصب في مصلحة الدين والدنيا.
(٢) أهمية الأسس التربوية في حياة المسلم.
(٣) تربية الافراد على القيم السلوكية التي تحفظهم من الانحراف والضياع.
(٤) التمسك بهذه الصفات الواردة في السورة لأنها تجعل الفرد يسير في الطريق للصحيح فيبتعد عن كل ما يخالف القرآن.
(٥) التربية القرآنية هي الركن الأساس في حياة الامة.
(٦) من الآفات الاجتماعية التي لها دور كبير في افساد البلاد هو الاسراف والتقتير، فوجب الانتهاء عنها.

التوصيات:

(١)دراسة القرآن الكريم واستنباط الآيات التي تعتني بالبناء التربوي وآثاره.
(٢)التمعن في آيات القرآن والتفكر فيها وإخراج الكنوز التي تحملها.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه اجمعين، واسأل الله ان ينفع بعملي هذا كل مسلم يقرؤاه.

المصادر والمراجع:

١- الأساس في التفسير: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ١١ (في ترقيم واحد متسلسل).
٢- أسباب النزول: أبو الحسن على بن احمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، ت: ماهر الفحل، ت: ٤٦٨هـ، دار الإصلاح الدمام، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.
٤- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
٥- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس احمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الانجري الفاسي (ت: ١٢٢٤هـ)، ت: احمد عبد الله القرشي رسلان، ت: حسن عباس زكي – القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ.
٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.
٧- التبصرة: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.
٨- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).
٩- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين،

بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٢ (١٠ أجزاء ومجلدان فهارس).

١٠–تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.

١١–تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، ت: ١٤١٨هـ، مطابع اخبار اليوم، الأجزاء: ٢٠.

١٢–تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ) ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

١٣–التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠ هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

١٤–التفسير المظهري: المظهري، محمد ثناء الله، ت: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشيدية، باكستان، ط١، ١٤١٢هـ.

١٥–تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢.

١٦– التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.

١٧–التفسير الواضح: الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.

١٨–التفسير الوسيط: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

١٩–التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ط١.

٢٠–تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (٣٢ ومجلد للمقدمة).

٢١-التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٢-جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأهلي أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ) ت: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، الأجزاء ٢٤.

٢٣- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري القرطبي، ت: ٦٧١هـ، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٢٤-جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ)، المحقق: مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر، الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٢٥ (الأخير فهارس).

٢٥-الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن محمد بن مخلوق الثعالبي، (ت: ٨٧٥هـ) ت: محمد علي معوض، وعادل احمد عبد الموجود، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٦-الذريعة الى مكارم الشريعة: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ١.

٢٧-روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨-زهرة التفاسير: محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، الأجزاء: ١٠.

٢٩-سنن ابن ماجه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

٣٠-السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبناتـ الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣١-صحيح ابن حبان: محمد بن حيان بن احمد بن حيان بن معاذ بن معبد التميمي، الدارمي السيتي، (ت: ٣٥٤هـ) ت: شعيب الارنوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأجزاء: ١٨.

٣٢-صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٩.

٣٣-صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

٣٤-فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٥-فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦، عدد الأجزاء: ٦.

٣٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٣٧-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

٣٨-مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٣٩-المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٤٠-موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية: إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: ٣.

٤١- الموسوعة القرآنية خصائص السور: جعفر شرف الدين، ت: عبد العزيز ابن عثمان التويجزي، دار التقريب – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٢-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.

٤٣-الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، ت: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٤٤-البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، دار احياء الكتب العربية، بيروت.

٤٥-شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، الشافعي: (ت: ٥١٦هـ) ت: شعيب الارنووط، المكتبة الإسلامية/ دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

Sources and references:

1- Al-Bahr Al-Muheet fi Tafseer: Author: Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi (deceased: 745 AH), investigator: Sidqi Muhammad Jamil, Publisher: Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.
2- Al-Dhari'ah to Makarim al-Sharia: Author: Abu al-Qasim al-Hussain bin Muhammad, known as al-Raghib al-Isfahani (deceased: 502 AH), investigation: Dr. Abu Al-Yazid Abu Zaid Al-Ajmi, Publishing House: Dar Al-Salam - Cairo, Publication Year: 1428 AH - 2007 AD, Number of Parts: 1.
3- Al-Durr Systems in the Compatibility of Verses and Surahs: Author: Ibrahim bin Omar bin Hassan Al-Ribat bin Ali bin Abi Bakr Al-Baqa'i (deceased: 885 AH), Publisher: Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo, Number of parts: 22.
4- Al-Hassan Commentaries on Sahih Ibn Hibban and Distinguishing the Suqemah from the Sahih, and the Abnormal from its Preserved, the author of the original: Muhammad ibn Hibban ibn Ahmad ibn Hibban ibn Mu'adh ibn Ma'bad, al-Tamimi, Abu Hatim, al-Darimi, al-Busti (deceased: 354 AH), arranged by: Prince Abu Al-Hassan Ali bin Balban bin Abdullah, Ala Al-Din Al-Farsi Al-Hanafi (deceased: 739 AH), author of commentaries Al-Hassan: Abu Abd Al-Rahman Muhammad Nasir Al-Din, bin Al-Hajj Noah bin Najati bin Adam, Al-Ashqudari Al-Albani (deceased: 1420 AH), Publisher: Dar Ba Wazir For Publishing and Distribution, Jeddah - Kingdom of Saudi Arabia, Edition: First, 1424 A.H. - 2003 A.D., Number of Parts: 12 (10 parts and two index volumes).
5- Al-Jawaher Al-Hassan in the interpretation of the Qur'an: Abu Zaid Abd al-Rahman Muhammad bin Mukhalliq al-Tha'alabi, (T: 875 AH)
6- Al-Tafsir Al-Madhari: Al-Madhari, Muhammad Thana Allah, T: Ghulam Nabi Al-Tunisi, Al-Rashidiyah Library, Pakistan, 1st edition, 1412 AH.
7- Al-Tafsir Al-Wasat by Al-Zuhaili: Author: Dr. Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, Publisher: Dar Al-Fikr - Damascus, Edition: First - 1422 AH.
8- Arguing on the tasks of definitions: The author: Zain al-Din Muhammad, called Abdul Raouf bin Taj al-Arifin bin Ali bin Zain al-Abidin al-Haddadi, then al-Manawi al-Qahri (deceased: 1031 AH), Publisher: The World of Books 38 Abd al-Khaliq Tharwat - Cairo, Edition: First, 1410 AH - 1990 AD.
9- Collective statement on the interpretation of the Qur'an: Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghalib Al-Ahly Abu Jaafar Al-Tabari, (T: 310 AH) T:

Ahmed Muhammad Shaker, Al-Risala Foundation, 1st Edition, 1420 AH - 2000 AD, Parts 24.

10- Encyclopedia of Islamic Ethics - Al-Durar Al-Saniyya: Prepared by: a group of researchers under the supervision of Sheikh Alawi bin Abdul Qadir Al-Saqqaf, Publisher: Al-Durar Al-Saniyya website dorar.net, Number of parts: 3.

11- Fath al-Qadir: Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani al-Yamani, (T: 1250 AH), Dar Ibn Katheer, Dar al-Kalam al-Tayyib, Damascus, 1st edition, 1414 AH.

12- Fayd al-Qadeer, Explanation of the Small Mosque: Author: Zain al-Din Muhammad, who is called Abd al-Rauf bin Taj al-Arifin bin Ali bin Zain al-Abidin al-Haddadi, then al-Manawi al-Qahri (deceased: 1031 AH), Publisher: The Great Commercial Library - Egypt, Edition: First, 1356, number of parts : 6.

13- Insights of those with discernment in the gentleness of the dear book: Author: Majd al-Din Muhammad bin Yaqoub al-Fayrouzabadi, who died in 817 AH, investigator: Muhammad Ali al-Najjar, Publisher: The Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for the Revival of Islamic Heritage, Cairo, Number of parts: 6.

14- Interpretation of Al-Shaarawi: Muhammad Metwally Al-Shaarawi, T: 1418 AH, Akhbar Al-Youm Press, Parts: 20.

15- Interpretation of the Gardens of Spirit and Basil in the hills of the Qur'an's sciences: Author: Sheikh Allama Muhammad Al-Amin bin Abdullah Al-Army Al-Alawi Al-Harari Al-Shafi'i, Supervision and review: Dr. Hashem Muhammad Ali bin Hussein Mahdi, Publisher: Dar Touq Al-Najat, Beirut - Lebanon, Edition: First 1421 AH - 2001 AD, the number of parts: 33 (32 volumes for the introduction).

16- Interpretation of the Great Qur'an: Abu al-Fida' Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Basri al-Dimashqi, (T: 774 AH), vol.: Muhammad Hussain Shams al-Din, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1419 AH.

17- Keys of the Unseen = The Great Interpretation: Author: Abu Abdullah Muhammad Bin Omar Bin Al-Hassan Bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, Khatib Al-Ray (deceased: 606 AH), Publisher: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, Edition: Third - 1420 AH.

18- Liberation and enlightenment: Muhammad al-Taher bin Muhammad bin Muhammad al-Taher bin Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 AH), publisher: The

Tunisian Publishing House - Tunisia, year of publication: 1984 AH, number of parts: 30 (and Part No. 8 in two parts).

19- Quranic Interpretation of the Qur'an: Author: Abdul Karim Younis Al-Khatib (deceased: after 1390 AH), Publisher: Dar Al-Fikr Al-Arabi - Cairo.

20- Reasons for Revelation: Abu al-Hasan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali al-Wahidi, Al-Nisaburi, T: Maher Al-Fahal, T: 468 AH, Dar Al-Islah, Dammam, 1412 AH - 1992 AD.

21- Runways of the Walkers between the houses of You we worship and You we seek help: Author: Muhammad bin Abi Bakr bin Ayoub bin Saad Shams al-Din Ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH), investigator: Muhammad al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, Publisher: Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, Edition: Third 1416 AH - 1996 AD, the number of parts: 2.

22- Sahih Al-Bukhari: Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi, investigator: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, publisher: Dar Touq Al-Najat (photographed from Al-Sultaniyya by adding the numbering of Muhammad Fuad Abdul-Baqi), edition: first, 1422 AH, number of parts: 9.

23- Sahih Ibn Hibban: Muhammad ibn Hayyan ibn Ahmad ibn Hayyan ibn Mu'adh ibn Ma'bad al-Tamimi, al-Darimi al-Saiti, (T: 354 AH), Tel.: Shuaib al-Arnaut, Al-Risala Foundation, Beirut, parts: 18.

24- Sahih Muslim: Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushairi Al-Nisaburi (deceased: 261 AH), investigator: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, publisher: Arab Heritage Revival House - Beirut, number of parts: 5.

25- Sunan Ibn Majah: Author: Ibn Majah Abu Abdullah Muhammad bin Yazid Al-Qazwini, and Majah is the name of his father Yazid (deceased: 273 AH), investigation: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Publisher: Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya - Faisal Issa Al-Babi Al-Halabi, Number of Parts: 2.

26- Tafsir Al-Manar: Author: Muhammad Rashid bin Ali Reda (deceased: 1354 AH), Publisher: The Egyptian General Book Organization, Year of Publication: 1990 AD, Number of Parts: 12.

27- Tafsir Al-Saadi: Author: Abd al-Rahman bin Nasser bin Abdullah al-Saadi (deceased: 1376 AH), investigator: Abd al-Rahman bin Mualla al-Luwayhaq, Publisher: Al-Risala Foundation, Edition: First 1420 AH - 2000 AD, Number of parts: 1.

28- The basis for interpretation: Author: Saeed Hawwa (died in 1409 AH), Publisher: Dar Al-Salam - Cairo, Edition: Sixth, 1424 AH, Number of parts: 11 (in one sequential numbering).

29- The brief editor in the interpretation of the dear book: Author: Abu Muhammad Abd al-Haq bin Ghalib bin Abd al-Rahman bin

Tammam bin Attia al-Andalusi al-Maharbi (deceased: 542 AH), investigator: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiya - Beirut, Edition: The first - 1422 AH.

30- The Clear Interpretation: Al-Hijazi, Muhammad Mahmoud, Dar Al-Jeel Al-Jadeed - Beirut, 10th edition, 1413 AH.

31- The collection of mosques known as “The Great Mosque”: Author: Jalal al-Din al-Suyuti (849 - 911 AH), investigator: Mukhtar Ibrahim al-Hajj - Abd al-Hamid Muhammad Nada - Hassan Issa Abd al-Zahir, Publisher: Al-Azhar Al-Sharif, Cairo - Arab Republic of Egypt, Edition: the second, 1426 AH - 2005 AD, the number of parts: 25 (the last indexes).

32- The Collector of the Rulings of the Qur’an: Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Qurtubi, T: 671 AH, T: Hisham Samir Al-Bukhari, Dar Alam Al-Kutub, Riyadh, 1423 AH.

33- The Enlightening Interpretation of Creed, Sharia and Methodology: Author: Dr. Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, Publisher: Dar Al-Fikr Al-Moaser - Beirut, Damascus, Edition: Second, 1418 AH, Number of Parts: 30.

34- The Great Sunnahs: Author: Ahmed Bin Al-Hussein Bin Ali Bin Musa Al-Khosrojerdi Al-Khorasani, Abu Bakr Al-Bayhaqi (deceased: 458 AH), Investigator: Muhammad Abdul Qadir Atta, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Girls Edition: Third, 1424 AH - 2003 M.

35- The Insight of Ibn Al-Jawzi: Author: Jamal Al-Din Abu Al-Faraj Abd Al-Rahman Bin Ali Bin Muhammad Al-Jawzi (deceased: 597 AH), Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut - Lebanon, Edition: First, 1406 AH - 1986 AD, Number of parts: 1.

36- The Intermediate Interpretation: Muhammad Sayyid Tantawi, Dar Nahdet Misr for Printing, Cairo, 1st edition.

37- The Kindergarten of the Wise and the Nazhat al-Fadla’: Author: Muhammad bin Haban bin Ahmad bin Haban bin Moaz bin Ma’bad, Al-Tamimi, Abu Hatem, Al-Darimi, Al-Busti (deceased: 354 AH), investigator: Muhammad Mohiuddin Abd Al-Hamid, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut.

38- The lights of the statement in clarifying the Qur’an in the Qur’an: The author: Muhammad Al-Amin bin Muhammad Al-Mukhtar bin Abdul Qadir Al-Jakni Al-Shanqeeti (deceased: 1393 AH), Publisher: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, Edition: 1415 AH - 1995 AD.

39- The Long Sea in the Interpretation of the Glorious Qur'an: Abu al-Abbas Ahmed bin Muhammad bin al-Mahdi bin Ajiba al-Hasani al-Angri al-Fasi (T: 1224 AH), T: Ahmed Abdullah al-Qurashi Raslan, T: Hassan Abbas Zaki - Cairo, 1st edition, 1419 AH.

40- The Mediator in the Interpretation of the Glorious Qur'an: Abu Al-Hassan Ali bin Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Nisaburi, Al-Shafi'i (d.: 468 AH), T.: Adel Ahmed Abdel-Mawgoud, and Ali Muhammad Moawad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, 1st edition, 1415 AH - 1994 AD.

41- The Qur'anic Encyclopedia, Characteristics of the Surahs: Jaafar Sharaf Al-Din, T: Abdul Aziz Ibn Othman Al-Tuwejzi, Dar Al-Taqreeb - Beirut, 1st edition, 1420 AH.

42- Vocabulary in Gharib Al-Qur'an: Author: Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani (deceased: 502 AH), investigator: Safwan Adnan Al-Dawudi, publisher: Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, Edition: First - 1412 AH.

43- Zahrat Al-Tafseer: Muhammad bin Ahmed bin Mustafa bin Ahmed, known as Abu Zahra (d.: 1394 AH), Dar Al-Fikr Al-Arabi, Parts: 10.

44- Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an: Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur al-Zarkashi (T: 794 AH) T: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 1st edition, 1376 AH, 1957 AD, the Arab Book Revival House, Beirut.

45- Explanation of the Sunnah: Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud bin Muhammad Al-Farra Al-Baghwi, Al-Shafi'i: (d. 516 AH) T: Shuaib Al-Arnaout, Islamic Library / Damascus, 2nd Edition, 1403 AH - 1983 AD.

46- Explanation of the Sunnah: Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud bin Muhammad Al-Farra Al-Baghwi, Al-Shafi'i: (d. 516 AH) T: Shuaib Al-Arnaout, Islamic Library / Damascus, 2nd Edition, 1403 AH - 1983 AD.